الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⴰⴽⵍⵉ ⵎⵓⵃⴻⵏⴷ ⵓⵍⵃⴰⵊ - ⵜⵓⴱⵉⵔⴻⵜ -
Faculté des Lettres et des Langues

قسم اللغة والأدب العربي

التخصص: دراسات أدبية

البنية المكانية في رواية أين المفر لـ " خولة حمدي "

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الليسانس

إعداد الطالب:
صبور شيماء

إشراف الأستاذ:
لطرش صليحة

السنة الجامعية:
2021-2020

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
<< من لا يشكر الناس لا يشكر الله >>.

إلى من غرست فيّ غرسها وزرعت فيّ زرعها وسقتني من معالم فضلها وجميل هباتها وإحسانها، أستاذتي"لطرش صليحة" أوجه لك شكري وإمتناني على كل ماقدمته من نصائح وتوجيهات وكنت لي العون والمرشد في هذا المسار، حفظك الله ورعاك.

كما أوجه تحياتي إلى أساتذتي الكرام بكلية اللغة والأدب العربي -جامعة البويرة-

دمتم بخير

أهدي تخرجي إلى من تجرعا الكأس فارغا ليسقياني قطرة حب، إلى من حصدا الأشواك عن دربي ليمهدا لي طريق العلم

"أمي و أبي"

إلى من علمني أبجدية الحب وجعل من حروفي عقودا لايداس عليها، إلى سندي وقوتي الذي اذا ناديته هب غير مبالي لمساعدتي

"زوجي طارق"

إلى كل أسرتي...

إلى رفيقات العمر"زهرة" "شيماء" "نورة" "ابتسام"

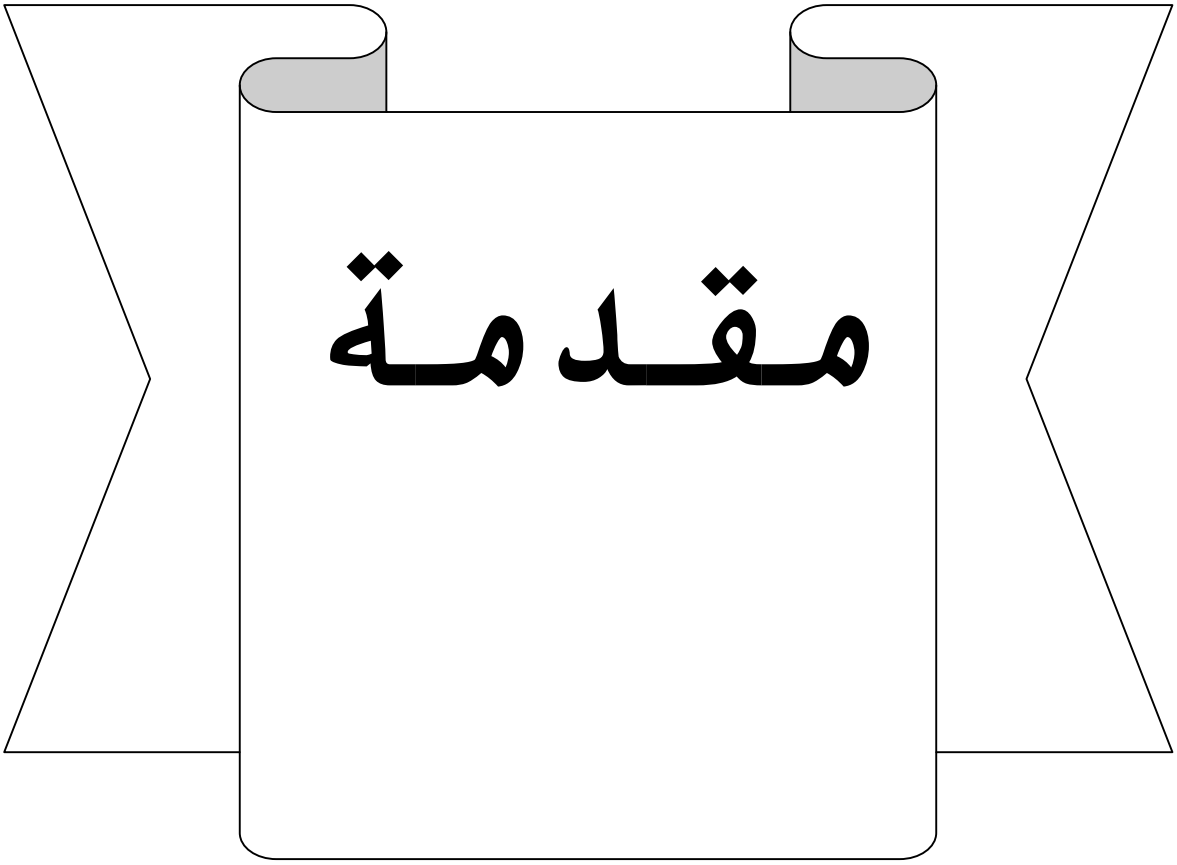
مقدمة

تعتبر الرواية في العصر الحالي ديوان المجتمع المعاصر مثلما كان الشعر ديوان العرب وعلمهم ، فقد إحتلت الرواية العربية وخاصة في أواخر القرن التاسع عشر مكانة هامة في الوسط العربي ، بالنظر إلى ريادتها وتفردها بعدما رجحت كفتها نظرا للإمتلاكها مزايا التأثير في المجتمع لأنها تعد أقدر الأجناس الأدبية تعبيرا عن الواقع واستيعابها لمختلف قضاياه ،واستمرت الرواية العربية في التطور إلى أن أثبتت جدارتها في القرن العشرين وتصدرت قائمة الأجناس الأدبية ،فتجذرت في الوعي الثقافي العربي بإستقطابها للقراء.

ولقد توجه في بادئ الأمر النقاد والدارسين الى دراسة عناصر الرواية مهتمين فقط بالزمن والشخصية والسرد والحدث ،وأهملو عنصر المكان معتبرينه عنصراً جامدا لايؤدي أي دولر في العمل الروائي، ولكن ضهرت حديثا دراسات أولت عنصر المكان إهتماما واسعا وعناية شديدة ،فأصبح المكان عنصرا فاعلا في الرواية ويكشف عن أبعادها الدلالية والجمالية بالتعاون مع باقي العناصر الروائية الأخرى.

وترجع أسباب إختياري لموضوع البنية المكانية في رواية أين المفر لخولة حمدي لعدة أسباب لعل أهمها:

ـ رغبتي في الكشف عن الدور الفعال للمكان في العمل الفني كونه عنصرا مهما من عناصر الرواية .

- رغبتي في تقديم دراسة تحمل أهمية المكان وعلاقته مع باقي المكونات السردية في رواية "أين المفر" لخولة حمدي للإحتفائها بعنصر المكان الذي يبدو طاغيا بصورة جلية فيها .

- رغبتي في دراسة أدب النسوة المكتوب باللغة العربية أو اللغة المحلية.

- إعجابي بطريقة الكاتبة في كتابةالرواية التي اتسمت بالجدية والإبداع فآثرت الدراسة المكانية للكشف عن ظاهرة المكان والتقنيات المعتمدة في تحديده عند الروائية.

وهذه الأسباب في اختياري لموضوع البنية المكانية في رواية أين المفر أثارت عندي مجموعة من الإشكاليات والتساؤلات أهمها:

-كيف عالجت الروائية تقنية المكان في الرواية؟.

-لماذا اعتمدت الكاتبة على تقنية تعدد الأماكن؟.

-ما طبيعة العلاقة بين المكان والعناصر السردية الأخرى؟.

-هل وفقت الكاتبة في توضيف المكان في الرواية؟

وللإجابة عن هذه الإشكاليات إعتمدت على المنهج البنيوي التحليلي وهذا لما يتطلبه موضوع البحث من تحليل للمعلومات ومناقشتها

وقد ارتأيت لمناقشة هذا الموضوع بإتباع خطة بحث تكونت من مقدمة ومدخل في المفاهيم وفصلين وخاتمة، فتطرقت في المقدمة الى تعريف

بالموضوع والأسباب والدوافع اوطرحت الإشكالية والمنهج المعتمد عليه ،أما المدخل الذي جاء بعنوان مدخل الى المفاهيم وقد تطرقت فيه الى مفهوم البنية لغة واصطلاحا وفلسفيا كما ذكرت مفهومه عن النقاد العرب والغرب ثم تناولت أهمية المكان.

أما الفصل الأول فقد خصص للحديث عن التشكيلات المكانية في الرواية فتناولت فيه المكان المفتوح والمكان المغلق في رواية أين المفر

بينما في الفصل الثاني الذي عنونته بعلاقة المكان بالمكونات السردية فتطرقت فيه الى علاقة المكان بالأحداث وبالشخصيات وبالزمن في رواية بشكل عام .

للأصل في الأخير إلى خاتمة قدمت فيها أهم النتائج المتوصل اليها في البحث من خلال التحليل.

وقد اعتمدت في إنجاز هذا البحث على جملة من المصادر والمراجع العربية والأجنبية المترجمة والمجلات ومذكرات التخرج ولعل أهم المصادر والمراجع مايلي:

1. سيزا قاسم، بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ

2. عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية

3. حميد الحمداني، بنية النص السردي

4. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي

5. غاستون باشلار، جماليات المكان

وغيرها من المصادر والمراجع التي ساعدتني في دراسة الموضوع والإلمام به .

كما لايخلو أي بحث من صعوبات فقد واجهتني بعض الصعوبات التي تعلق معضمها بكثرة الكتب والمادة العلمية المتعلقة بالموضوع مما سبب تشويشا في ضبط الكم المعرفي ، وعدم معرفتي بهذا المجال كون هذه المذكرة أول بحث أكاديمي لي ، وعدم معرفتي كيفية إدارة الوقت من أجل البحث.

وفي الأخير أرجو من الله تعالى أن أكون قد وفقت في إنجاز هذا البحث وأن يكون في المستوى المرغوب فيه فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي ، وإن كان واجب الباحث الإعتراف بالشكر والفضل ،فإنه من واجبي التقدم بجزيل شكر وعظيم الإمتنان للأستاذة المشرفة لطرش صليحة على ماقدمته لي من توجيهات قيمة كان لها الأثر الكبير في هذا البحث ،والحمدلله على ماوفقني فيه.

مدخل إلى المفاهيم

مفهوم البنية:

1البنية لغة:

ذكرت كلمة بنية في عدة معاجم لغوية في مادة (بنى) فقد عرفها إبن منضور في كتابه لسان العرب على أنها < والبنى نقيض الهدم، بَنى الَبناء البِناء بنياً وبِناءاً وبنى،مقصوراً ، وبُنياًنيةوبِناية وابتَناهُ وبناهُ <[1]

كما عرفها الرازي في مختار الصحاح <والبُنى بالضم مقصور البناُءيقال (بنية) و (بنى) و(بِنية) و(بِنى) بكسر الباء مقصور مثل جِزية وجِزى والبنية هي الفطرة>[2]

وقد ذكرها الزمخشري في كتاب أساس البلاغة في مادة (بنى) بقوله : <بني : بنى بيتا أحسن بِناءٍ وبنيانِ ، وهذا بناء حسن وبنيان حسن<كأنهم بنيان مرصوص > سمى المبني بالمصدر ،وبناءك من أحسن الأبنيةوبنيتُ بُنية وبِنية عجيبة ،ورأيت البُنى والبِنى فما رأيت أعجب منها. وبنى القصور[3]>

---

[1] إبن منظور، لسان العرب، ص965

[2] الرازي ،مختار الصحاح، مكتبة لبنان-لبنان، 1986،ص27

[3] الزمخشري، أساس البلاغة،تح:محمد باسل عيون السود،ج2،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان، ص78

وذكرت في معجم العين في مادة (بنى) أيضا << بَنى البَناُء البِناء يبني بنياً وبِناءاً ، وبنى مقصور. والبنية:الكعبة ،يقال :لاورب هذه البنية.[1]

وقد عرفها الفيروز آبادي في القاموس المحيط بقوله: <<البني: نقيض الهدم ،بناه يبنيه بنياً وبِناءًوبُنياناً وبِنية وبِناية ،وابتناه وبناهُ ، والبناُء: المبني ج:أبنية جج:أبنيات والبُنية بالضم والكسر :مابنيته والبُنى >>[2]

وذكرت في المعجم الوسيط على أنها <<بنى الشيء بنياً ،وبناًء ،وبنياناً:أقام جداره ونحوه. يقال:بنى السفينة ،وبنى الخباء، واستعمل مجازاً في عدة معانٍ كثيرة ، تدور حول التأسيس والتنمية ،يقال : بنى مجده ،وبنى الرجال>[3]>

كما ذكرت في القرآن الكريم في عدة مواضع منها :

قوله تعالى: << والذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناًء >>[4]

وفي قوله تعالى: <<فقالو أبنو عليهم بنياناً ربهم أعلم بهم>>[5]

---

[1] الفراهيدي ،العين مرتبا على حروف المعجم،تح: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي،ج8،ط4،دار ومكتبة الهلال ،ص382

[2] الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح:أنس محمد الشامي، زكريا جابر محمد، دار الحديث-القاهرة،2007،ص1264

[3] إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط،ط4،مجمع اللغة العربية-مكتبة الشروق الدولية،2004، ص72

[4] سورة البقرة، الآية 22

[5] سورة الكهف، الآية 21

من كل ما سبق ذكره من تعريب

ية إصطلاحا:

إن مصطلح البنية يحوي العديد من تعريفات منها:

تعريف جيرالد برنس لها بأنها <<شبكة العلاقات الحاصلة بين المكونات العديدة للكل وبين كل مكون على حده والكل، فإذا عرفنا الحكى بوصفه يتألف من قصة وخطاب، كانت بنيته هي شبكة العلاقات بين "القصة"و "الخطاب"، "القصة"و "السرد" ، و"الخطاب"و "السرد">>[1]

وقد قدم لنا العالم السويسري جان بياجيه تعريفا للبنية حيث يقول: <<إن البنية هي نسق من التحولات ،له قوانينه الخاصة بإعتباره نسقا (في مقابل الخصائص المميزة للعناصر) ،علما بأن من شأن هذا النسق أن يظل قائما ويزداد ثراءاً بفضل الدور الذي تقوم به تلك التحولات نفسها ،دون أن يكون من شأن هذه التحولات أن تخرج عن حدود ذلك النسق ، أو أن تهيب بأية عناصر أخرى تكون خارجة عنه>>[2]

[1] جيرالد برنس. قاموس السرديات، تر:السيد امام، ط1،ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة2003،ص191

[2] عبدالله الحسيني ،البنيوية تكوينية الغولدمانية(المنهج والاشكالية)، مجلة أهل البيت ،العدد 21،ص122

في حين أنه عرفها ليفي إشتراوس <<البنية تحمل . أولاً وقبل كل شيء . طابع النسق أو النظام فالبنية تتألف من عناصر يكون من شأن أي تحول يعرض للواحد منها، أن يحدث تحولا في باقي العناصر الأخرى>>[1]

أما مفهوم البناء في الآداب فيدور حول إخراج الأشياء والأحداث والأشخاص من دوامة الحياة وقانونها ثم رصفه في بنية أخرى وقانون آخر هو قانون الفن ..[2].

كما يدل مفهوم البناء على مجموعة القوانين التي تحكم سلوك النظام ومكوناته إذ يمكن أن تحلل إحداها محل الأخرى.[3]

ومن كل ما مضى يظهر لنا أن مصطلح البنية يدور حول البناء وكينونته التي تتحقق بالترابط وتكامل بين عناصره والبنية في الأدب هي إنتظام العناصر في نسق واحد.

مفهوم المكان:

. المكان لغة:

وردت لفظة مكان في العديد من المعاجم اللغوية ودل معظمها على الموضع قال إبن منضور في كتابه لسان العرب :<<والمكان: الموضع ، والجمع أمكنة وأماكن توهمو

---

[1] المرجع نفسه، ص122

[2] عبد الرحيم الكردي، البنية السردية للقصة القصيرة،ط3، مكتبة الآداب، القاهرة2005،ص16

[3] نعمان بوقرة. المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، جدار الكتاب العالمي،عمان-الأردن2009،ص94

الميم أصلا حتى قالو تَمَكَّنَ في المكان ... والمكانة المنزلة وفلان مكين عند فلان بيّنُ المكانة ، والمكانة :الموضع>>[1]

كما ذهب الفيروز آبادي الى نفس المعنى فقال:<< والمكانُ : الموضع ، كالمكانة،ج: أمكنة وأماكن . ومضيت مكانتي ومكينتي، أي طيّتي>>[2]

وقيل أيضاً في كتاب المنجد :<< المكان ج أماكن وأمكنة وأمكن (والأخير نادر): موضع كون الشيء، المكانة ج مكانات:الموضع والمنزلة ، يقال مكون فيه أي موجود فيه >>[3]

وعلى خلاف الأدباء وضف إبن دريد مصطلح المكان في مادة (مكن) وعرفه بقوله:<< ويقال : أمكن المكانُ ، إذا أنبت المَكْنانُ

والمكان: مكان الإنسان وغيره، والجمع أمكنة

ولفلان مكانة عن سلطان، أي منزلة، ورجل مكين من قوم مكناةُ عند

السلطان>>[4]

---

[1]إبن منظور ،لسان العرب ،ص3960

[2]الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص1447

[3]لويس معلوف، المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت،دت، ص704

[4]أبي البكر محمد بن الحسن بن دريد ،تح رمزي منير بعلبكي، ص983

كما وردت كلمة مكان في القرآن الكريم في عدة ايآت دالة على المنزلة والموضع فوردت في سورة مريم لقوله تعالى: << واذكر في الكتاب مريم إذ إنتبذت من أهلها مكاناً شرقيا >>[1]

كما وردت في سورة الحج في قوله عز وجل << وإذ بوأنا للإبراهيم مكان البيت أن لاتشرك بي شيئاً >>[2]

من خلال كل هذه التعريفات للفظة (مكان) نرى أن كلها تشير إلى معنى ودلالة واحدة جاءت في معنى الموضع والمنزلة.

المكان إصطلاحا:

تعددت وتنوعت المفاهيم المتعلقةبمصطلح المكان حيث كان من الصعب تحديد مفهوم موحد لهذا المصطلح فكل باحث عرف المكان مع مايتناسب ويتماشى مع المسار الذي ينتمي إليه ومن هذه المفاهيم:

>> يدل المكان القصصي عن البنيويين على مفهوم محدد هو المكان اللفظي المتخيل، وهو مكان تصنعه اللغة بناءاً على أغراض التخيل وحاجاته في القصة>>[3]

---

[1] سورة مريم ،الآية 16

[2] سورة الحج ،الآية26

[3] أوريدة عبود،المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية(دراسة بنيوية لنفوس ثائرة لعبد الله الركيبي)، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع،2009،ص14

كما عرفه محمد أيوب في كتابه بقوله :<< هو الموقع الثابت المحسوس القابل للإدراك والحاوي للشيء وهو مستقر بقوة إحساس الكائن الحي، وترتكز علاقة الإنسان بالمكان على ركيزتين هما:

أ. التضاد بين ثبات المكان ظاهريا وحركة الإنسان

ب . الإلتقاء بين المدرِك والمدَرك >>[1]

فيما تم تعريفه من قبل سيزا قاسم بأنه << المكان هو الإطار الذي تقع فيه الأحداث ... ومن هذا المنطلق نرى أن المكان ليس حقيقة مجردة وإنما هو يظهر من خلال الأشياء التي تشغل الفراغ أو الحيز.>>[2]

ولقد تطرق أحمد سليم في كتابه ضمن فصل الإنتماء المكاني فقال:<< حين نضيف المكان إلى الإنسان نحصل على لفظ يدل دلالة عميقة على صيرورة الحياة الإنسانية ؛ فالمكان هو الموضع الذي يولد (يحدث ويخلق) فيه الإنسان وهو الموضع الذي (يستقر) فيه ، وهو الموضع الذي يعيش فيه ، ويتطور

)يصير) فيه.>>[3]

---

[1]محمد أيوب ، دراسات في الأدب والنقد، دار الصداقة للنشر الالكتروني، ص141

[2]سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، مهرجان القراءة للجميع، 2004،ص106

[3]فاروق أحمد سليم. الإنتماء في الشعر الجاهلي ، اتحاد الكتاب العرب،1998،ص192

والمكان كمفهوم هو المكان الطبيعي ، المكان الحقيقي في الواقع الخارجي المحسوس ، وهذا المكان لا علاقة له بالمكان الروائي ، للأنه الموضع الحقيقي الثابت الجامد.>>[1]

ومن هذه التعريفات نلاحظ أن المكان تم تعريفه على أنه ما يملئ الأشياء ويحويها كما أنه الموقع والموضع.

المكان فلسفيا:

شغل مصطلح المكان تفكير الفلاسفة فذهب كل فيلسوف الى تعريف خاص به لمصطلح المكان فأفلاطون وأرسطو تحدثا عن المكان في إطار فلسفي حيث أدخلا عليه الخصائص الفيزيائية والهندسية أثناء تعريفهما لمصطلح المكان، فعرفه أرسطو بقوله: << المكان خاص ومشترك: المكان الخاص هو الحيز الذي يشغله الجسم بمقداره ،أو هو السطح الباطن من الجسم الحاوي للسطح الظاهر من الجسم المحوي، أو حاو للمتمكن مفارق له عن الحركة ومساو له ،والمكان المشترك هو الحيز الذي يشغله جسمان أو أكثر >>[2]

[1] مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا(حكاية البحار -الدقل -المرفأ البعيد)،الهيئة العامة السورية للكتاب،دمشق2011، ص27

[2] مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة،القاهرة،2007،ص618

وهو بهذا قد ربط المكان بالجسم فحيث يكون هناك جسم يكون هناك مكان فالمكان الخاص في نضره هو المكان الذي يحوي جسم واحد أما المشترك فهو الذي يحوي على عدة أجسام .

وقد عرفه إبن سينا بقوله :<< السطح الباطن من الجرم الحاوي المماس للسطح الظاهر للجسم المحوي>>[1]

وهو يقصد بهذا أن المكان هو السطح الأسفل الذي يستقر عليه الشيئ الثقيل)الجسم) أي يكون مماسا له .

أما عند المتكلمين فهو :<< الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم وينفذ فيه أبعاده>>[2]

يتصف المكان بالإطلاق بأنه متجانس ومتصل وغير محدود ويتصف المكان من الوجهة الرياضية بأنه ذو ثلاثة أبعاد وأن الأشكال الهندسية ذات طبائع ثابتة غير أن الهندسات الإقليدية قد عدلت هذا المفهوم الرياضي للمكان [3].

أي أن المكان غير محدود وقد عرفوه في ضوء المفهوم الرياضي حيث قرنو مفهوم المكان بالأشكال الهندسية فأعطوه صورة الأبعاد الثلاثة .

---

[1]جميل صليبيا، المعجم الفلسفي،ج2، دار الكتاب اللبناني،بيروت -لبنان،1982،ص412

[2]المرجع نفسه، ص412

[3]مراد وهبة، المعجم الفلسفي، ص618

فيما ذهب الفيلسوف إبن الهيثم إلى أن << المكان هو النهايات المحيطة بالجسم الطبيعي كما عده بعدا متخيلاً يحيط بالجسم ، تكون أبعاده وأبعاد الجسم واحدة >>[1]

أي أن المكان عنده هو المكان الذي يسكن إليه الجسم وهو بهذا تكون ل أبعاد مشابهة للأبعاد الجسم ذاك.

مثلما عرف الفلاسفة المكان كان من نصيب الفلاسفة المحدثين نصيب في تعريفه<< فعند ديكارت يمثل المكان الممتد في الأبعاد الثلاثة وعند إسبينوزا ومالبراش يمثل الإمتداد غير المتناهي ، أما عند ليبنتز فهو نظام للأشياء في معيتها وهو فكرة مضطربة ومجرد شيء ظاهر>>[2]

كل هذه تعريفات تحيلنا إلى أن المكان هو الإمتداد ولا تناهي وعدم الفناء وهو مقترن دائما بالجسم والأشياء التي إما يكون حاملا لها أو مماساً لها.

المكان عند النقاد (العرب والغرب):

1. المكان عند النقاد العرب:

لم يحظى المكان في النقد العربي بإهتمام واسع فلم يعتبر النقاد عنصر المكان عنصر أساسي في البناء الفني ورغم هذا الإهمال لعنصر المكان إلا أنه قد ظهرت بعض

[1]غيداء أحمد سعدون شلاش، المكان والمصطلحات المقاربة له .دراسة مفهوماتية ،مجلة أبحاث كلية التربيةالأساسية،مج:11،العدد الثاني،كلية التربية للبنات،2011، ص247

[2]غيداء أحمد سعدون شلاش ، المكان والمصطلحات المقاربة له ،دراسة مفهوماتية ، ص247

الدراسات النقدية التي تناولت المكان ولعل أول بوادر إهتمامهم به كانت مع الناقد الروائي غالب هلسا بترجمته لكتاب غاستون باشلار إذ نقله تحت عنوان جماليات المكان ، ثم بدأت تظهر دراسات أخرى فالناقد العربي حميد الحمداني تطرق في كتابه بنية النص السردي إلى مفهوم المكان عن تمييزه بين الفضاء والمكان<< إن مجموع هذه الأمكنة ،هو مايبدو منطقيا أن نطلق عليه إسم : فضاء الرواية ،للأن الفضاء أشمل، وأوسع من معنى المكان، والمكان بهذا المعنى هو مكون الفضاء، ومادامت الأمكنة في روايات غالباً ماتكون متعددة ومتفاوتة، فإن فضاء الرواية هو الذي يلفها جميعا إنه العالم الواسع الذي يشمل مجموع الأحداث الروائية>>[1]

وهو بقوله هذا يجعل من المكان جزءاً من أجزاء الفضاء الروائي، كما تنبهت الناقدة خالدة سعيد إلى المكان ووصفته بالمكان التاريخي قائلة:<< نسمي(مكانا تاريخيا) المكان الذي يستحضر للإرتباطه بعهد مضى لكونه علامة في سياق الزمن ، وهكذا يتخذ المكان شخصية زمانية ، هذا النظر الزماني إلى المكان متصل بإحساس ضمني بالمكان الهارب الذي يفلت كما يفلت الزمن >[2]>

كما كان للباحثة سيزا قاسم رأي في عنصر المكان حيث قدمت لنا تسمية المكان عند النقاد الغربيين في مستويات مختلفة الموقع كما قدمت لنا رأي الكلاسيكيون الذين

---

[1] حميد الحمداني، بنية النص السردي، من منظور النقد الأدبي،ط1،المركز الثقافي العربي،بيروت،1991، ص63

[2] خالدة سعيد، حركية الإبداع دراسات في الأدب العربي الحديث ، ط3،دار الفكر،بيروت-لبنان،1986،ص25

اكتفو بكلمة المكان لدلالة على أنواع المكان ،ثم قدمت مفهوما للمكان بقولها << حيث أن المكان يمثل الخلفية التي تقع فيها أحداث الرواية أما الزمن فيتمثل في الأحداث نفسها وتطورها ، وإذا كان الزمن الخط الذي تسير عليه الأحداث فإن المكان يظهر على هذا الخط ويصاحبه ويحتويه فالمكان هو الإطار الذي تقع فيه الأحداث>>

1

فيما قدم أيضا الناقد حسن بحرواي عدة تعريفات لعنصر المكان في رواية حيث جعله عنصراً من العناصر المكونة للرواية بقوله:<< ومن هنا تأتي الصبغة الإستثنائية للمكان في الرواية ، فهو ليس مكانا معتاداً كالذي نعيش أو نخترقه يوميا ، ولكنه يتشكل كعنصر من بين العناصر المكونة للحدث الروائي ، وسواءاً جاء في صوة مشهد وصفي أو مجرد إطار للأحداث فإن مهمته الأساسية هي التنظيم الدامي للأحداث>>[2]

كما كان للناقد الجزائري عبد الملك مرتاض رأي هو الآخر في المكان حيث تطرق إليه في مصطلح الحيز قائلا:<< ولعل أهم مايمكن إعادة ذكره هنا حتى لانكرر ماقررناه من ذي قبل أن مصطلح (الفضاء) من منضورنا على الأقل قاصر بالقياس الى الحيز

[1] سيزا قاسم، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، ص106

[2] حسن بحراوي بنية الشكل الروائي (الفضاء الزمن الشخصية)،ط1،المركز الثقافي العربي،بيروت،1990، ص29 . 30

لأن الفضاء من ضرورة أن يكون معناه جاريا في الخواء والفراغ ؛ بينما الحيز لدينا ينصرف إستعماله الى النتوء والوزن، والثقل، والحجم ، والشكل... على حين أن المكان نريد أن نقفه ،في العمل الروائي على مفهوم الحيز الجغرافي وحده>[1]<

يحاول عبد الملك مرتاض في هذا المقطع أن يبين لنا أن الفضاء ليس هو الحيز بتقديم مقارنة بسيطة لهما فقد إعتبر مفهوم الفضاء قاص بالنسبة لمصطلح الحيز لأن مصطلح الحيز عام وشامل ، وقد تطرق الى المكان بأنه في العمل الروائي يكون مفهومه ضمن الحيز الجغرافي للرواية .

كما قدم ياسين النصير تعريفا له بقوله :<< للمكان عندي مفهوم واضح ، يتلخص بأنه الكيان الإجتماعي الذي يحوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه ، ولذا فشأنه شأن أي نتاج إجتماعي آخر يحل جزءاً من أخلاقية وأفكار ووعي ساكنيه >>[2]

إن النقاد العرب قد تطرقو الى مفهوم المكان في حدود الحيز والفضاء والمكان والكيان وجعلوه عنصرا أساسيا من عناصر التشكيل الفني في الرواية حاله كحالة الشخصيات والزمن والسرد.

[1] عبد الملك مرتاض ، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد،عالم المعرفة،الكويت،1998 ،ص121

[2] ياسين النصير، الرواية والمكان،ج2،ط2،دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،1986، ص16

2المكان عن النقاد الغرب:

قام المنظرون الألمان بعد روبيربيتش بالتمييز بين مكانين متعارضين هما LOKAL و RAUM أما الأول فقد عنون به المكان بالمكان المحدد الذي تربطه الاشارات الاختيارية كالمقاسات والأعداد...الخ،وأما الثاني فهو الفضاء الدلالي الذي تؤسسه الأحداث ومشاعر الشخصيات في الرواية، انطلاقا من هذه التمييزان، ومدعما اياها بالأمثلة الملموسة قام هيرمان مير بإبراز كيف أن الفضاء يلعب دورا مهما وأساسيا في التخيل الروائي.

أما الفرنسيان جورج بولي وجيلبر دوران فقد درسا الفضاء الروائي لذاته ولم يقوما بتحليل الروابط التي تجمع بين الفضاء الروائي والأنساق الطوبولوجية الأخرى في العمل، ولّد بينه وبين مجموع المكونات الحكائية، ومن ثم جاء تحليلهما للمكان الروائي،عن أن يدرك الأبعاد المختلفة لبنية المكان، وتشكلاتها ومضاهرها[1].

لقد رأى غاستون باشلار أن المكان هو المكان الأليف، ذلك البيت الذي ولذنا فيه، أي بيت الطفولة، انه المكان الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة،وتشكّل فيه خيالنا، فالمكان في الأدب هو الصورة الفنية التي تذكرنا أو تبعث فينا ذكريات بيت الطفولة[2].

---

[1]حسن البحراوي،بنية الشكل الروائي، ص26

[2]غاستون باشلار، جماليات المكان ،تر غالب هلسا،ط2، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان،1984، ص6

لقد ربط غاستون باشلار المكان بالبشر وما يعيشونه، فربطه بذاكرة الانسان الماضية وأنه فيه تشكلت أفكار الانسان.

في حين أن غريماس تطرق للمكان على أنه الحيز قائلا: هو الشيء المبني: المحتوي على العناصر المتقطعة انطلاقا من الامتداد، المتصور هو، على أنه بعد كامل، ممتلئ، دون أن يكون حل الاستمرارية، ويمكن أن يدرس هذا الشيء المبني من وجهة نظر هندسية خالصة [1].

إن يوري لوتمان ربط المكان بحياة البشر من حيث ادراكهم له قائلا: فإن المكان يدرك ادراكا حسيا مباشرا يبدأ بخبرة الانسان لجسده: هذا الجسد هو(مكان)-أو لنقل بعبارة اخرى(مكمن) القوى النفسية والعقلية والعاطفية والحيوانية للكائن الحي، وقد يفسر هذا أن البشر لجأو للمكان في تشكيل تصوراتهم للعوالم المادية وغير المادية على السواء[2].

أهمية المكان :

إن المكان بإعتباره عنصراً من عناص البناء الفني للرواية فإنه يلعب دوراً مهما فيها سواء من حيث اللغة أو غيرها .

[1]عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية،ص122

[2]يوري لوتمان وآخرون،جماليات المكان، ط2،عيون المقالات، دار قرطبة البيضاء،1988،ص59

تنبثق أهمية دراسة(المكان) في الرواية من كونها مرشداً إلى نماذج أكثر دلالة على الحياة وإسهاما في تطوير الإبداع الروائي ، ورغم هذه القيمة الكبرى للمكان في الرواية العربية ، فإنه لم يحظ بالإهتمام اللازم من قبل الباحثين والنقاد ، مع أن (المكان) يحتل حيزا كبيرا وهاما في الرواية العربية ، ذلك أنه لا أحداث ولا شخصيات يمكن أن تلعب أدوارها في الفراغ ودون مكان ، ومن هنا تأتي أهمية المكان ليس كخلفية للأحداث فحسب ، بل وكعنصر حكائي قائم بذاته ،الى جانب العناصر الفنية الأخرى المكونة للرواية[1].

يلعب المكان دورا وضيفيا هاما في تكوين حياة الإنسان وترسيخ كيانه وثتبيت هويته وتأطير طبائعه، وبالتالي تحديد تصرفاته وتوجهاته وإدراكه للأشياء وهذا لكونه أشد إلتصاقا بحياة الإنسان والأكثر تغلغلا في كيانه . وذلك لأن المكان يدرك إدراكا حسيا ،يبدأ بخبرة الإنسان بجسده ، هذا الجسد(المكان) أو لنقل بعبارة أخرى (مكمن) القوى النفسية والعقلية والعاطفية والحيوية للكائن الحي ، ليتعداه بعدها إلى الحيز الذي يحتويه ، ثم إلى البيت ،ثم غيره من الأمكنة[2].

[1]محمد عزام، فضاء النص الروائي ، مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان.ص111

[2]محبوبة محمدي محمد آبادي ، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب،دمشق2011،ص92

والمكان لايعتبر عنصراً زائدا في رواية ، فهو يتخذ أشكالا ويتضمن معاني عديدة ، بل إنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله ، والمكانية لاتتشكل من خلال الشخصيات التي تنوء بحمل الأحداث وتكشف في الوقت ذاته عن عمق وقع المكان وإيغاله من خلجاتها المتعددة التي تضفي على المكان الروائي دلالات مجازية.[1]

إن المكان يضمن التماسك البنيوي للنص الروائي ، ومن خلال المكان وحركته يمكننا إدراك الزمن، ووفقا للإرتباط الجدلي بينهما، فكل منهما يفترض الآخر ويتحدد به، فالمكان ليس عاملا طارئا في حياة الكائن الإنساني ،المكان هو الفسحة والحيز الذي يحتضن عمليات التفاعل بين الأنا والعالم ، ودون معرفة بأسرار المكان وفلسفته يصعب التواصل .[2]

وقد يكون المكان تقنية مستقبلية يتجاوز المبدع بها ومن خلالها مكانه وواقعه، وقد يميل مبدع آخر للإسترسال في وصف المكان في محاولة للإعطائه سمة المكان الوقعي وتحديد جغرافية المكان بدقة وذلك لضبط حركة العناصر الفنية الأخرى[3].

وإذا كانت الرواية في المقام الأول فناً زمنياً يضاهي الموسيقى في بعض تكويناته ويخضع لمقاييس مثل الإيقاع ودرجة السرعة، فإنها من جانب آخر تشبه الفنون

---

[1] مهدي عبيدي،جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا،ص35ـ 36

[2] المرجع نفسه. ص36

[3] إبراهيم جنداري، الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا،ط1،دار تموز ،دمشق2013، ص204

التشكيلية من رسم ونحت في تشكيلها للمكان، وإن المساحة التي تقع فيها الأحداث والتي تفصل الشخصيات بعضها عن البعض بالإضافة إلى المساحة التي تفصل بين القارئ وعالم الرواية لها دور أساسي في تشكيل النص الروائي.[1]

والحال أن المكان لايعيش منعزلا عن باقي عناصر السرد وإنما يدخل في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية الأخرى للسرد كالشخصيات والأحداث والرؤيات السردية... وعدم النظر إليه ضمن هذه العلاقات والصلات التي يقيمها يجعل من العسير فهم الدور النصي الذي ينهض بيه الفضاء الروائي داخل السرد[2].

إن الفضاء الذي درسه الشعريون يتميز بكونه <<ليس فقط هو المكان الذي تجري فيه المغامرة المحكية ولكن أحد العناصر الفاعلة في تلك المغامرة نفسها.[3]

إن تشخيص المكان في الرواية، هو الذي يجعل من أحداثها بالنسبة للقارئ شيئا محتمل الوقوع، بمعنى يوهم بواقعيتها، أنه يقوم بالدور نفسه الذي يقوم به الديكور، والخشبة في المسرح، وطبيعي أن أي حدث لايمكن أن يتصور وقوعه إلا ضمن إطار حكائي معين، لذلك فالروائي دائم الحاجة إلى التأطير المكاني، غير أن درجة تأطير وقيمته تختلفان من رواية إلى أخرى، وغالبا ما يأتي وصف الأمكنة في الروايات

---

[1] سيزاقاسم ، بناء الرواية ، ص 103

[2] حسن بحراوي بنية الشكل الروائي ، ص26

[3] المرجع نفسه، ص28

الواقعية مهيمنا بحيث نراه يتصدر الحكي في معظم الأحيان، ولعل هذا ماجعل <هنري ميتران> يعتبر المكان هو الذي يؤسس الحكي لأنه يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة.[1]

المكان في العمل الفني شخصية متماسكة، ومسافة مقاسة بالكلمات ورواية لأمور غائرة في الذات الإجتماعية، ولذا يصبح غطاءاً خارجيا أو شيئاً ثانويا، بل هو الوعاء الذي تزداد قيمته كلما كان متداخلا بالعمل الفني، والروايات أو القصائد التي تحسن إستخدامه إنما تسجل جزءاً من تاريخية الزمن المعاصر[2].

[1] حميد الحمداني ، بنية النص السردي، ص65

[2] ياسين النصير، الرواية والمكان، ص17

الفصل الأول:
التشكيلات المكانية في رواية أين المفر

1. الأماكن المفتوحة

2. الأماكن المغلقة

التشكيلات المكانية:

إن الأمكنة بالإضافة إلى إختلافها من حيث طابعها ونوعية الأشياء التي توجد فيها تخضع في تشكلاتها أيضا إلى مقياس آخر مرتبط بالإتساع والضيق أو الإنفتاح والإنغلاق، فالمنزل ليس هو الميدان، والزنزانة ليست هي الغرفة، لأن الزنزانة ليست دائما مفتوحة على العالم الخارجي بخلاف الغرفة، فهي دائما مفتوحة على المنزل، والمنزل على الشارع، وكل هذه الأشياء تقدم مادة أساسية للروائي لصياغة عالمه الحكائي[1].

وفي هذه الدراسة التي قمت بها سأقوم بالتركيز على الثنائية(المكان المفتوح/المكان المغلق) ودلالة التي قدمتها في الرواية من حيث تعددها وتنوعها كالحديقة والشارع والبيت والغرفة...إلخ

1/ المكان المفتوح:

إن الحديث عن الأمكنة المفتوحة، هو حديث عن أماكن ذات مساحات هائلة توحي بالمجهول، كالبحر، والنهر، أو توحي بالسلبية كالمدينة أو هو حديث عن أماكن ذات

[1] حميد الحمداني،بنية النص السردي، ص71

مساحات متوسطة كالحي، حيث توحي بالألفة والمحبة، أو هو حديث عن أماكن ذات مساحات صغيرة كالسفينة والباخرة كمكان صغير.[1]

فالمكان المفتوح يكون منفتحاً للعالم حيث لاتحده أي حدود ولا يسكنه أناس محددين هو ذلك المكان الذي يضم العديد من العلاقات الخارجية والداخلية فلا تكون لمساحته حدود تجعل منه مكانا مغلقاً فهو عكس المكان المغلق، ورواية أين المفر برزت فيها العديد من الأماكن المفتوحة، كالحديقة، والشارع، والمزرعة...إلخ، التي لها دلالات عميقة مرتبطة بالشخصيات والأحداث.

أ- الحديقة:

إن الحديقة تعتبر من الأماكن المفتوحة للأنها لا تضم أناس محددين أو أشياء معينة فايشعر فيها الإنسان بالراحة والطمأنينة، وذكرت الحديقة في الرواية بصورة مميزة وبوصف أضهرها ضمن مساحة شاسعة والحديقة المذكورة في الرواية هي حديقة القصر ومن المقاطع التي وصفت فيها ما يلي:

>>ألقت نظرة فاحصة على الحديقة الخلابة>[2]>

>>وسرحت في الحديقة شبه المظلمة وخيالات الأشجار المتمايلة>>[3]

---

[1] مهدي عبيدي، جماتليات المكان في ثلاثية حنا مينا، ص95

[2] خولة حمدي، أين المفر،كيان للنشر والتوزيع،-الهرم،2017، ص04

[3] الرواية، ص24

>>كانت الحديقة مساحتها المفضلة في القصر بدون منازع، حديقة غناء مترامية الأطراف، معتنى بها بشكل جيد...>>[1]

>>أمضت الكثير من الوقت في الحديقة>>[2]

لقد ظهرت الحديقة في هذه المقاطع بأنها مكان للإمضاء الوقت ولراحة والتفكير وقد قامت الكاتبة هنا بوصفها وبوصف مساحتها ببساطة دلت على مساحتها وجمالها كالخلابة ووصف أشجارها.

ومن المقاطع التي أظهرت الحديقة بأنها مكان للتجمع والإحتفال مايلي:

>>الجميع في الحديقة... ينتظرون الشواء... تعالي.>>[3]

>>كان الضيوف قد تجمعوا قرب المسبح، حيث نصبت الموائد بمختلف أنواع المقبلات وفاحت رائحة الشواء...>>[4]

قد بينت هذه المقاطع تجمع الناس في الحديقة والتمامهم فيها للإحتفال.

---

[1] الرواية، ص73

[2] الرواية، ص32

[3] الرواية، ص90

[4] الرواية، ص92

إن الحديقة بكونها مكان منفتح يرتاح فيه الإنسان ويختلط فيه مع الغير كانت منفتحة لشخصيات مع ذاتها حيث كانت تجلس مع نفسها وتتذكر الماضي مثل مافي هذا المقطع:

>>لم يدخل ياسين الى قاعة المكتبة مثلما ادعى أمام منال، بل قادته خطاه إلى الحديقة، كانت الساعة قد تأخرت، والهدوء قد سيطر على المكان، أخذ يتمشى في الممر الممهد الذي تحفه المشاتل من الجانبين.سرح بخياله بعيداً ...بعيدا جداً . أخذته أفكاره إلى ذكريات قديمة أليمة. ضلت تعيش في عقله وقلبه و لم تغب عنه يوماً ...>>[1]

قد ضهرت الحديقة هنا أنها المكان الذي تذكر فيه ياسين ذكرياته القديمة التي لم يستطع نسيانها فنجده هنا قد إنفتح على الحديقة وحاول أن يريح قلبه بتذكر ماحدث له من قبل.

ب . المزرعة:

عندما نتحدث عن المزرعة نتحدث عن أماكن متواجدة في الريف حيث تكون المساحات الشاسعة الغير محدودة والتي يتمتع فيها الإنسان بالمناظر والطبيعة وقد

[1] الرواية، ص423

ذكرت في الرواية بهذا الغرض حيث كانت تذهب عائلة آل القاسمي للإمضاء بعض الوقت فيها وتمتع بمناضرها الرائعة وقد ظهر هذا في المقاطع الآتية:

>>هيا أرجوك سنتأخر... أنت تعلمين أن جمال طبيعة لايضاهى في... الصباح>>[1]

>>أما منال وليلى فقد ترجلتا على مهل وهما تمتعان بصرهما بالمشهد الخلاب الذي فاق جميع توقعات ليلى... فيبدو أن ممتلكات آل القاسمي لاتشبه في شيء مايحيط بها من حقول ومزارع! الأشجار والسهول كانت تكتسي خضرة مشرقة تسحر الألباب وتدخل علة نفس إنشراحاً عجيباً...>>[2]

إن هذه المقاطع قد وصفت لنا المزرعة ومساحتها كما ذكر سبب ذهاب آل القاسمي إليها وهو من أجل الراحة وتمتع بالهواء النقي هناك.

ج ـ الشوارع:

بما أن الشارع مكان يتنقل فيه الناس ويعبرون م خلاله إلى أماكن أخرى فيعتبر مكانا مفتوحاً فهو المسار الذي يمشون فيه ويتنقلون عبره مما يخلق فيه إكتضاضاً وهذا ماجعل الكاتبة تصفه بالإكتظاظ وتصف السيارات الموجودة فيه والتي تتنقل من خلاله

[1] الرواية، ص41

[2] الرواية، ص47

وقد ظهر هذا في قولها:<< كان المشهد في الخارج قد تغير بعد أن غادرت السيارات شوارع المدينة المكتظة وأخذت تطوي الطريق الزراعية طياً في إتجاه المزرعة...>>[1]

لقد أضهرت لنا الكاتبة في هذا القول أن الشارع كان هو المسار الذي تنقلو وعبرو من خلاله من المدينة إلى المزرعة.

كما ضهر وصف الشارع أيضاً في قولها:<< سرحت ببصرها إلى الخارج عبر نافذة السيارة التي أبطات من سرعتها عند مرورها بمركز المدينة، كانت الشوارع مزدحمة والسيارات تسير متقاربة.>>[2]

لم تكتفي الكاتبة بوصف الشارع وهو في حالة إكتظاظ بل راحت واصفة له أيضاً بكونه خالياً من الحركة في الساعات المتأخرة من الليل في قولها: <<...في مثل تلك الساعة المتأخرة... الظلام كان مخيما طوال الطريق الزراعية، ماعدا أعمدة إنارة قليلة ومتباعدة، قبل أن تطل أخيرا على شوارع المدينة المضاءة بشكل جيد... لكنها كانت مقفرة تقريبا من السيارات...>>[3]

د . الحي:

---

[1] الرواية، ص46

[2] الرواية، ص123

[3] الرواية، ص319

نجد الأحياء في الغالب بالأماكن التي تكون ضيقة وكثيرة المباني والحي هو مكان مفتوح يسهل على الناس التحرك والتنقل فيه لقضاء حوائجهم وفي بعض الأحيان يكون مكانا للعب الأطفال فيه وفي رواية أين المفر نجد أن الكاتبة لم تذكره كثيراً ومن المقاطع التي ذكرته فيها قولها: <<فالأحياء الشعبية مليئة بالأزقة المتعرجة والعنوان وحده لايكفي للعثور على مكان ما...>>[1]

إن الكاتبة وصفت لنا الحي الشعبي ووصفته بضيق وهذا الذي يجعل من الشخص لا يعرف المكان المحدد بسهولة بسبب تشابه الأمكنة فيه وتقاربها من بعضها البعض والتصاق المباني .

كما ذكرته في مقطع آخر:<<... أما هنا، فالمنازل الصغيرة البيضاء تتلاصق فيما بينها في حميمية والحدائق الصغيرة التي تتقدم بعض الديار تتميز برونقها البديع وتصميمها الجذاب... استأنست نفسها بالمكان وبجماله البسيط ونضافة شوارعه الضيقة التي كانت... السيارة تتقدم خلالها ببطء>>[2]

هنا حاولت الكاتبة أن تعطي للحي الدفئ والحب الكامن في الضيق الذي يتميز به وراحت تصف جمال البسيط ونقاءه رغم ضيق حجمه.

---

[1] الرواية، ص294

[2] الرواية، ص392

هـ . الشرفة:

هي من أجزاء البيت المطلة على العالم الخارجي مما يمنحها خاصية الإنفتاح التي بها يخرج الإنسان من إنغلاق المنزل إلى إنفتاحه على الخارج وقد وضفت في الرواية بهذا الغرض حيث جعلتها الكاتبة مكان تنفتح فيه الشخصيات على العالم وتنظر إليه وظهر هذا في المقاطع التالية:

>>فتحت باب الشرفة واستقبلت النسيم وهي تغمض عينيها في إنشراح، تقدمت بضع خطوات واستندت بمرفقيها على جدار شرفة وسرحت بعيداً ... كم تحتاج إلى الإتصال بالعالم الخارجي.>>[1]

>>خرج من الباب الخلفي ووقف في الشرفة وقد خيم الظلام في الخارج... هبت ريح قوية، هزت قميصة وبعثرت خصلات شعره...>>[2]

>>توجه إلى الشرفة بخطى متثاقلة جلس على الأرجوحة مكانها المفضل. أغمض عينيه وترك جسده يتهادى مع نسق الأرجوحة البطيء...>>[3]

[1] الرواية، ص33

[2] الرواية، ص307

[3] الرواية، ص367

>>جلست ليلى في الشرفة وهي تمسك بكوب القهوة بين كفيها وقد سرحت نظراتها تجاه البحر، كان المشهد الذي تطل عليه من أروع المشاهد وأكثرها راحة للأعصاب>>[1]

في كل هذه المقاطع حاولت الكاتبة أن تصف لنا شعور الشخصيات وهي واقفة بالشرفة المطلة على الخارج حيث كان الشعور الغالب عليها هو راحة والإحساس بالطمأنينة حيث كانت تغوص في أعماقها.

و. المدينة:

المدينة هي مسكن الإنسان الطبيعي، أوجدها الناس لتكون في خدمتهم وعلى مستواهم، أوجدوها لتساعدهم في العيش وتطمئنهم وتحميهم من العالم المناوئ ومن أنفسها وتختلف المدن عن بعضها البعض، فلكل مدينة موقعها الجغرافي، وتتميز كل مدينة بعاداتها وتقاليديها...>>[2]

وفي رواية أين المفر تطرقت الكاتبة الى المدينة كونها مكان ولادة الإنسان وظهر هذا في المقطع الاتي:<< هذه هي المدينة التي ولدت فيها، ثم سافرت عنها لتجوب الدنيا... وهاهي تعود إليها بعد أن فقدت كل رابط معنوي يربطها بها.>>[3]

---

[1] الرواية، ص431

[2] مهدي عبيدي. جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا. ص96

[3] الرواية. ص45

إن مكان ولادة الإنسان هو المدينة التي سيترعرع فيها وينشأ ويتعلم فيها ولكن الكاتبة هنا تبين أن ليلى قد سافرت عن مدينتها الأصلية التي ولدت فيها وهاجرت إلى بلدان أخرى ولكن رغم هذا قد عادت إليها في نهاية.

تكلمت الكاتبة عن بعض المدن إلا أنها لم تذكرها بتفصيل فذكرت مدينة فرنسا وهي المكان الذي نشأت وترعرت فيه ليلى بعد أن تركت هي ووالدها المدينة التي ولدت فيها ويظهر هذا في قولها:<< كانت قد سافرت كثيرا في حياتها مع والدها وزارت العديد من البلدان الأوروبية والعربية، فوالدها كان كثير الترحال بحكم عمله كسفير... لكنه استقر مؤخراً في فرنسا>>[1]

ز. البحر:

البحر هو ذلك المكان الذي يقصده الناس لترفيه عن أنفسهم في أيام الحر الشديد وهو من الأماكن المفتوحة للأنه لايضم أناس محددين ويأتي إليه كل من شاء، كما أنه ذلك العالم العميق الذي يحمل بين أمواجه هموم البشر وقد وضف في الرواية بغرض البحث عن الراحة والهروب من الواقع في قول الكاتبة:<<نزل من السيارة وتقدم في اتجاه الشاطئ... إلى ملاذ الحيارى... كم تحمل يابحر بين أمواجك من حكايا>>[2]

[1] الرواية. ص22

[2] الرواية. ص256

كما ظهر في قولها أيضاً :<< جلس على حافة البحر، الصديق الوفي الذي تعود إلى الشكوى إليه دون غيره... فهو يحمل كل أسراره ولايفشيها أبدا...>>[1]

حـ . الممر:

الممر هو من الأماكن المفتوحة ونجده في الطرقات والمنازل الكبيرة، والممر المذكور في الرواية هو ممر القصر والذي يعتبر كمسار أو طريق مفتوح لتنقل الأشخاص في كل زوايا المنزل وبين الغرف وقد ظهر الممر في المقاطع الآتية:

>>بدا على رانيا التفكير للحظات، لكنها سرعان ما أفلتت من ليلى، وركضت إلى الجانب الآخر من القاعة في اتجاه الممر، تابعتها ليلى في تعجب، لكن مالبثت أن تناهى إلى مسامعها حفيف و وشوشة آتيان من الممر... وماهي إلا ثوانٍ حتى عادت رانيا وهي تركض من جديد.>>[2]

>>تقدمت ليلى في الممر المفروش بالزرابي والمزدان بالثريات المتدلية من سقف كانت الفوانيس الصغيرة والمتلاصقة تضفي على المكان ضوءاً خافتاً ذا لون أصفر ساحر...>>[3]

---

[1] الرواية. ص 459 ـ 460

[2] الرواية. ص 120ـ 121

[3] الرواية. ص10

لقد حاولت الكاتبة في هذه المقاطع أن تصف لنا الممر كونه مكانا لتتقل والمشي خلاله كما حاولت أن تصف شكله وأثاثه الذي منحه جمالا باهراً .

2/ المكان المغلق:

المكان المغلق هو عكس المكان المفتوح أي أن له حدوداً وحواجز لاينبغي تجاوزها وبهذا فهو يضم علاقات محددة من البشر وله حيز جغرافي محدد سواء بسقف أو بجدران، وفي رواية أين المفر ذكرت العديد من الأماكن المغلقة وقد إختلفت دلالتها في نفسية الشخصيات وإختلفت الأماكن من بيوت وغرف، ومستشفيات، ومطارات، ومن الأماكن التي ذكرت في الرواية نذكر مايلي:

أ. القصر:

إن القصر يعتبر من البيوت كبيرة الحجم وهو مكان مغلق يضم في داخله سكانه والقصر يطلق على البيت الواسع والكبير ورغم هذا إلا أن الكاتبة إستخدمته كمكان مغلق، فليلى التي كانت تسكن القصر كانت تشعر بالوحدة والخوف فيه، رغم أنه مكان واسع وذلك في قولها:<<... وها أنا أجد نفسي وحيدة في هذا القصر الكبير...>>[1]

إن البيت بإعتباره مأوى الإنسان فسيشعر فيه بالراحة والطمأنينة، إلا أن ليلى لم تكن تشعر بهذا في القصر فقد كانت تشعر فيه بالخوف والإنزعاج<< لكن الحالة التي

[1] الرواية. ص70

وجدت عليها والدها منعتها من أن تنطق بكلمة. كان يجلس في إنتظارها وقد أعد لها مفاجأة كبيرة... المفاجأة التي رمت بها إلى هذا القصر الموحش وأهله الغرباء كتمت فرحتها في صدرها...>>[1]

>> جالت من جديد في أرجاء القصر الذي خلا تقريبا من كل سكانه... تحس بفراغ غريب خيم على المكان.>>[2]

>> وصلت إلى الشرفة دون أن يعترضها أحد، بدا كأن القصر مهجور... لم ترا الحارس ولا أحد من الخدم...>>[3]

إن الكاتبة وضفت القصر بشكل وصف الفراغ الذي يعم أرجاءه رغم كبر حجمه مما جعله من الأماكن المغلقة في الرواية التي كانت تشعر فيها الشخصيات بالوحدة والخوف.

ب . الغرفة:

الغرفة من أكثر الأماكن خصوصية في البيت فهي تحمل أسرار صاحبها هناك حيث يمكن للإنسان الإنفراد بنفسه عن كل مايجري في العالم الخارجي والغرفة المذكورة في

[1] الرواية.ص72

[2] الرواية. ص410

[3] الرواية. ص442

الرواية هي الغرفة الزرقاء التي تحمل العديد من الأسرار في داخلها والتي تكون في نفس الوقت الغرفة التي سكنتها ليلى وقد ذكرت في المواضع الآتية:

>> تأملت غرفتها الخاصة في إنبهار، ثم ألقت بنفسها على السرير الوثير الناعم وتنفست الصعداء... أغلقت عينيها وغرقت في لجة أفكارها...>>[1]

>> كانت تجيل نظراتها في أرجاء الغرفة وهي توافقه في قرارة نفسها على غموض طابعها ورونقها الفريد من نوعه...>>[2]

>> صعدت أخيراً إلى غرفتها وإحساسها بالملل يقتلها... تناولت مصحفاً وجلست تقرأ بصوت خافت... شعرت براحة كبيرة...>>[3]

إن الكاتبة جعلت من الغرفة مكاناً للإختلاء ليلى بنفسها وقراءة القرآن لكي تشعر بالطمأنينة بهروبها عن العالم الخارجي، كما ذكرت الغرفة الزرقاء التي تدور حولها العديد من الأسرار وذلك في المقاطع الآتية:

>> كانت غرفة مميزة... وكانت هناك حكايا غريبة يتناقلها الخدم حول أسرار أخفتها السيدة هاجر هناك...>>[4]

---

[1] الرواية،ص12

[2] الرواية،ص13

[3] الرواية،ص33

[4] الرواية،ص59

>> لو فرضنا أن هاجر انتحرت بالفعل، وهو مجرد إفتراض ياعزيزتي... ثم انطلقت الشائعات حول الغرفة الزرقاء وغموضها... وأثريت القصة بطيف السيدة هاجر الشريد... ثم تتطور الأحداث وتظهر شخصيات جديدة، تنشأ عداوات تصل إلى التفكير في القتل... فيجد القاتل الأرضية الملائمة ويستغل حكاية الغرفة الزرقاء.>>[1]

>>فانتقلت من الجناح الذي خصص لها وفراس بعد الزواج، لتعود إلى الغرفة الزرقاء... إلى هنا... حيث صارت تعتزل الجميع وتنفرد بمفكرتها الصغيرة السوداء.>>[2]

>> كانت السيدة هاجر تعتكف الغرفة الزرقاء منذ أيام، إثر خلاف حاد مع زوجها فقد كانت الخلافات تزداد عمقاً مرة بعد مرة، وقد بات كل منهما لايطيق الآخر، في تلك الليلة سمع ياسين أنيناً مكتوما قادما من الغرفة الزرقاء.>>[3]

إن الغرفة الزرقاء أصبحت مكانا للقتل والإنتحار وهذا ما أظهرته المقاطع فقد كانت الشخصيات تعتكف الغرفة منفردة عن العالم الخارجي ليجدوها فيما بعد مقتولة داخل الغرفة وهذا ما أعطى للغرفة خاصية إنغلاق فريدة في الرواية.

ج . المطبخ:

---

[1] الرواية،ص86

[2] الرواية،ص117

[3] الرواية،ص424

إن المطبخ من الأماكن المغلقة وهو موجود في كل بيت فهو مكان لطهو الطعام وتناوله وقد ذكر المطبخ في الرواية في صورتين فقد ظهر المطبخ في القصر وفي المنزل الريفي ومن المقاطع التي أظهرته مايلي:

>> همت بالعودة إلى المطبخ لمساعدة منال...>>[1]

>> خطت بإتجاه المطبخ، ألقت السلام، ثم اتخذت مجلساً في طرف المائدة، كان أمين قد سبقها في الإستيقاظ وجلس يتناول فطوره.>>[2]

>> وقفت ليلى في المطبخ إلى جانب العم هاشم وهو يعد الوجبة التي طلبتها منه، وأخذت تهز قدمها في عصبية... قالت وهي تستعجله:

. هل إنتهيت من الحساء؟.>[3]>

كما أن المطبخ كان هو المكان الذي إستطاعت فيه ليلى أن تتكلم مع فراس وتعرف حقيقة الحكاية كاملة وذلك في مطبخ المنزل الريفي لقول الكاتبة:

---

[1] الرواية، ص352

[2] الرواية، ص137

[3] الرواية، ص226

>> إلتفتتا في نفس الوقت إلى باب المطبخ حين وصلهما صوت رجالي هادئ... كان فراس يستند إلى الباب وقد عقد ذراعيه أمام صدره، أضاف وهو يتقدم ليجلس على أقرب مقعد:

. إسألي ماشئت... سأجيبك عن كل شيء>>[1]

ظهر المطبخ في هذه المقاطع أنه مكان للإعداد وتناول الأكل كما أنه ظهر بأنه المكان الذي إستطاع فيه فراس أن يفضي مابداخل من أسرار إلى ليلى.

د. الجامعة:

الجماعة هي الصرح العلمي الذي يجتمع فيه الطلبة من مختلف الأجناس والمناطق وهي مكان مغلق يحتوي على عدة كليات فهي مكان للعلم والمعرفة حيث تمنح شهادات لخريجيها وظهرت الجامعة في الرواية بالمقاطع الآتية:

>> وبدأت ليلى دراستها الجامعية هناك... أتمت السنوات الأربع في كلية الحقوق... وبينما هي تستعد للتسجيل في الدراسات المعمقة، فاجأها والدها بقرار السفر!>>[2]

>> لم تكن المقابلة مع مدير مركز البحوث سريعة كما توقعت، فرغم أن ليلى كانت قد جهزت ملفاتها مسبقا من أجل دراستها العليا في فرنسا، فإن المدير دخل في مقارنات

[1] الرواية، ص289

[2] الرواية، ص22

مطولة بين نظام دراسة المحلي ونظام الجامعات الفرنسية واستغل الفرصة ليطرح عليها أسئلة كثيرة بخصوص المناهج المعتمدة هناك وإختبار مدى تمكنها من المواد المقررة... وفي نهاية اللقاء قدمت فكرة مشروعها واتفقا على مواعيد الدروس والمحاضرات... وبعد أكثر من ساعتين، كانت تغادر الجامعة.>>[1]

>> أنا أستاذ ليلى في كلية الحقوق بباريس... وليلى كانت من أنجب طلابي وأنا أتنبأ لها بمستقبل باهر في القضاء... لكنها تحتاج إلى إشراف نخبة من الدكاترة المتميزين كأولئك المشرفين على الجامعة في باريس...>>[2]

لقد دلت الكاتبة بذكرها للجامعة على أنها مكان للدراسة وأنها موضع لمناقشة وتبادل الأراء والحوارات بين من هم في الجامعة.

كما ظهرت بأنها مكان لدراسة فقط وليس لمناقشة المواضيع الخاصة بالحياة الشخصية وذلك من خلال المقطع الآتي:<< بدا عليه التردد لكنه قال:

. لا أريد التحدث في الموضوع في الجامعة... لأنه موضوع... شخصي.>[3]>

هـ . المكتبة:

---

[1] الرواية، ص206 . 207

[2] الرواية، ص389

[3] الرواية، ص67

المكتبة من الأماكن المغلقة التي تحوي في داخلها العديد من الكتب والمعلومات والمصادر التي تساعد في تنمية الثقافة العلمية والأدبية وغيرها والمكتبة المذكورة في الرواية هي مكتبة القصر إذ اعتبرت مكانا ضخماً مليئا بالكتب ولجمع المعلومات وظهر هذا في قول الكاتبة:<< كان من الجلي أنها غرفة المكتبة، لكنها مكتبة من نوع العملاق... فقد تراصت الكتب على الرفوف على إمتداد الجدران الأربعة التي ترتفع خمسة أمتار أو تزيد... تقدمت إلى وسط القاعة وهي تتأمل إكتشافها العظيم... لم تعد الرائحة تضايقها... لم تكن قد رأت مكتبة منزلية بهذا الحجم من قبل.>>[1]

>> المكتبة تحوي عدداً من الكتب النادرة والقديمة، لذلك فإن بها نظام تهوئة خاص للحفاظ على الورق...>>[2]

وصفت لنا الكاتبة في هذه المقاطع شكل المكتبة وحجمها وعلى العدد الهائل الذي تحويه من الكتب، كما أنها دلت على الطريقة التي يعتنون بها بالمكتبة حفاظاً على الكتب التي بداخلها مضهرة من خلال هذا قيمة الكتب وشأنها.

و. المنزل الريفي:

يعد المنزل من الأماكن المغلقة التي تعطي خصوصية لساكنيه فهو المكان الذي يشعر فيه الإنسان بالألفة والمحبة ويرتاح فيه من العالم الخارجي وهو المكان الآمن الذي

[1] الرواية، ص167

[2] الرواية، ص169

يحمي الإنسان من المخاطر التي تحيط به في الخارج، وفي الرواية لم يظهر ذكر المنزل الريفي بكثرة إلا في عدة مقاطع كقولها:

>> وقد ملأتا المنزل الريفي الهادئصخبا وهرجاً ...>>[1]

>> نزلت من سيارتها وتناولت حقيبتها الصغيرة... كانت السماء شبه مظلمة، حمدت الله للأنها وصلت في الوقت المناسب... فهي لم تتعود السياقة في الليل ! كان المنزل الريفي هادئاً كالعادة، وضوء خافت يصل من ناحية المطبخ...>>

2

حاولت الكاتبة هنا أن تحدد مواصفات المنزل الريفي فوصفته بالهادئ وهذا مايحيلنا إلى الدلالة التي تشير إليها هاته الكلمة وهي الراحة والإستقرار.

ز. المطار:

هو من الأماكن المغلقة الخاصة بإقلاع وهبوط الطائرات وهو مكان للسفر وتنقل من موطن إلى آخر، وقد ورد ذكره في الرواية موضحاً مجيء والد ليلى إلى أرض الوطن في قولها:<< وقفت ليلى في قاعة الإستقبال وهي تتطلع في لهفة إلى بوابة خروج المسافرين...

---

[1] الرواية، ص128

[2] الرواية، ص284

ـ صبرا يا صغيرتي... طائرته لم تصل بعد...

ـ الرحلة من الولايات المتحدة إلى هنا طويلة جداً ... ومن الطبيعي... أن تحصل بعض التأخيرات... لا داعي للقلق.>>[1]

في هذا المقطع ظهر لنا أن المطار مكان لهبوط الطائرات وقدوم المسافرين من مختلف بقاع العالم، حيث كانت ليلى تنتظر وصول والدها بفارغ الصبر لأن رحلة طائرته قد طالت بعض الشيء.

كما ورد ذكر المطار على أنه مكان لمغادرة أرض الوطن إلى وطن آخر وظهر هذا في قولها:<<ألقى نظرة وداع أخيرة على بهو المطار الفسيح، تأمل أفواج المسافرين والمودعين الذين لا تهدأ حركتهم في جميع الإتجاهات، تصفح الوجوه لبرهة، لم يكن في إنتظار رفيق سفر أو مودع...لكن أملاً ضئيلاً راوده في اللحظات الأخيرة... ومالبث أن... إستدار في اتجاه بوابة الرحيل>>[2]

وصف هذا المقطع حالة الأستاذ عمر الذي كان على وشك مغادرة الوطن متوجها إلى فرنسا والذي لم يكن لديه أحد ليودعه أو يرافقه.

ح . المستشفى:

---

[1] الرواية، ص218 ـ 219

[2] الرواية، ص412

هو مكان مغلق مخصص للمرضى ومجهز بالأطباء المختصين والغرف والأجهزة الطبية الخاصة فهو مكان للعلاج ولديه زوار مؤقتين وذكرت الكاتبة في الرواية المستشفى وغرفة العناية وغرفة العمليات وهما جزء من المستشفى ككل وورد ذكره في المقاطع الآتية:

>> في حين ركب مأمون سيارته وانطلق في إتجاه المستشفى نظرت ليلى إلى والدها وقالت في تردد، كأنها تتوقع الجواب وتخشاه:

. أبي... مم تشكو؟

ابتسم في ضعف وهو يسرح بنظراته بعيداً :

... سرطان الرئة.>>[1]

>> لم يسمح لها ليلة البارحة بالبقاء إلى جانب والدها في المستشفى، غادرته وفي قلبها غصة... لم تستطع النوم وهي تفكر في مرض والدها.>>[2]

في هذه المقاطع ظهر أن المستشفى مكان لعلاج المرضى فقد كان والد ليلى مريضاً بسرطان لهذا نقل إليه من أجل العلاج وقد وصفت لنا الكاتبة معاناة ليلى و والدها من خلال هذه المقاطع أيضاً .

---

[1] الرواية، ص225

[2] الرواية، ص228

وقد ذكرت غرفة العمليات والعناية المركزة أيضاً فيما يلي:

>> إعتذر عن التأخير وشرع في العمل على الفور، عاين الجرح بسرعة، ثم طلب من الممرض إحضار السرير النقال لأخذ المصاب إلى غرفة العمليات حتى يقوم بتدخل سريع.>>[1]

>> كانت علامات الألم في ملامح وجهها الطفولي الباكية أقوى من أن تقاوم... رضخت الممرضة إلى طلبها وقادتها إلى قسم العناية المركزة... تبعتها ليلى بخطوات مضطربة وقد بلغ منها التشنج أقصى درجاته، كانت الغرفة مغلقة ولا سبيل إلى دخول أخد غير الممرضين والأطباء.>>[2]

إن القصد من غرفة العمليات والعناية المركزة هو إسعاف المرضى الذين هم في حالة حرجة وخطرة وذكر المستشفى هنا في الرواية على أنه المكان الذي تلقى فيه والد ليلى وفراس العلاج من الحالة التي كانو فيها.

ط . المقبرة:

وهي الدار الثانية التي يذهب إليها الناس بعد مفارقتهم للحياة الدنيا وهي من الأماكن المغلوقة التي تحوي على الذين ماتو وفارقو الحياة لم تَرِدْ المقبرة في الرواية بكثرة فقد

[1] الرواية، ص321

[2] الرواية، ص324

ذكرتها الكاتبة في أواخر الرواية في قولها: << وقفت أمام قبر والدها وأخذت تملأ الإناء الذي يعلو سطح القبر بالماء... راقبت العصافير وهي تقترب لترتوي من الإناء وتلتقط حبات القمح التي نثرتها على الحجارة، وعلت شفتيها إبتسامة هادئة... لعل أجر سقاية الماء يخفف عن والدها ويرزقه الرحمة... مضت سنتان كاملتان على رحيله عن هذه الدنيا.>>[1]

نجد من خلال هذا المقطع دلالة المقبرة على الموت والرحيل ومفارقة الدنيا إلى الدار الآخرة حيث يتحدد مصير الإنسان حسب الأجر الذي عمله فإما يخفف عنه ويرزق الرحمة وإما يثقل عليه ويعذب.

ي . السجن:

وهو من الأماكن المغلقة التي يدخل إليها الإنسان ليعاقب على أخطائه وهو مكان تحبس فيه حريات البشر بمختلف أجناسهم وله حواجز وحدود تجعله مكاناً مغلقاً، وفي الرواية لم يذكر السجن كثيرا وإنما أشارت الكاتبة إليه فقط وقد ورد في المقاطع الآتية:

>>كما أنهما عاشا ضروفاً صعبة بعد إفلاس والدهما ودخوله السجن بسبب الديون.>>[2]

---

[1] الرواية، ص462

[2] الرواية، ص159

>> هل تعلمين أنه قد يدخل السجن، إن ثبتت عليه التهم التي توجهينها إليه؟ <<[1]

دلت هذه المقاطع على أن السجن هو مكان لمعاقبة المخطئين ودفعهم ثمن أعمالهم.

ك . الحانة:

وهي من الأماكن الدنيئة المنغلقة التي تحوي على بشر محددين وهي رمز الفساد والإنحراف فهي من أسباب ضياع الناس وقيمهم الأخلاقية، ويذهب إليها الناس للهروب من الواقع ونسيان هموهم و ورد ذكر الحانة في الرواية في قول الكاتبة: <<الحكاية لست أدري كيف بدأت بالضبط... حكاية ضياع حنان... وإنحراف عمتي... نجاة... لكن حكايتي مع حنان بدأت في يوم ما، منذ ثلاث سنوات ونصف تقريبا... يوما تلقيت إتصالا من مجهول، يعلمني أن حنان موجودة في إحدى حانات الحي الشعبي.>>[2]

>>كان داخل المبنى مظلماً تقريباً والروائح العفنة تتصاعد منه، مختلطة مع روائح الخمور التي يتعاطاها رواد المكان... فلمحتها في مشهد مخز... حنان شبه ثملة، تترنح بين ذراعي شاب ثمل هو الآخر.>>[3]

---

[1] الرواية، ص274

[2] الرواية، ص293

[3] الرواية، ص294

>>مالم أكن أعلمه، هو أن ذاك النوع من الحانات يهيء لرواده غرفاً خاصة في الطابق الأول لممارسة الرذيلة...>>[1]

لقد دلت هذه المقاطع أن الحانة هي مكان عفن يؤدي بالناس إلى الإنحراف وهو مكان لتعاطي الكحول وفي هذا المكان بالظبط كان ضياع حنان وإنحراف قيمها الأخلاقية.

[1] الرواية، ص297

الفصل الثاني:

علاقة المكان بالمكونات السردية

1- علاقة المكان بالأحداث

2- علاقة المكان بالشخصيات

3- علاقة المكان بالزمن

. علاقة المكان بالأحداث:

إن الأحداث بإعتبارها مكوناً في العمل الروائي فهي تعتبر بضرورة عصب الرواية وقيام الحدث في الرواية مرتبط بالزمن والشخصيات والمكان، هذا الأخير الذي جعلته سيزا قاسم<< الخلفية التي تقع فيها أحداث الرواية >>[1]

ويفرض هذا الحدث بعض التنقلات في الأمكنة، وهذه الأمكنة وتنوعها، تنوع الحدث وتحركه، ويصعب أن نجد رواية تجري أحداثها في مكان واحد[2].

وهذا الذي أكد عليه جورج بلان حيث تحدث عن علاقة الحدث بالمكان الروائي بقوله<< حيث لاتوجد أحداث، لاتوجد أمكنة>>[3]

حتى أن حسن البحراوي ربط المكان بالحدث وجعل العلاقة بينهما علاقة متينة في قوله:<< إن المكان في الرواية هو خديم الدراما، فالإشارة إلى المكان تدل على أنه جرى أو سيجري به شيء ما، فمجرد الإشارة إلى المكان كافية لكي تجعلنا ننتظر قيام حدث ما، وذلك أنه ليس هناك مكان غير متورط في الأحداث>>[4]

---

[1] سيزا قاسم، بناء الرواية ، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، ص106

[2] مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا، ص217

[3] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص30

[4] المرجع نفسه، ص30

إن المكان برأيي هو الذي يجعل الأحداث تتوالد وتتوالى فهو الذي يطور الأحداث الروائية وينسج خيوطها، وهذا ما رأينا في رواية أين المفر حيث أن المكان لعب دوراً أساسياً في تنامي الأحداث وتطورها فأحداث الرواية ككل تبدأ بعودة ليلى إلى أرض الوطن وبسكنها عند خالها بالقصر الكبير الذي يملكه، هناك حيث إكتشفت العديد من الأشياء الخفية منها حياة أختها توأم التي توفيت منتحرة<< توقفت سيارة رياضية فاخرة من صنع فرنسي أمام الباب الرئيسي للقصر، بعد أن عبرت الممر الطويل الممهد المؤدي إلى البوابة الخارجية... نزلت الراكبة الوحيدة ليلى كامل في حركة رشيقة...>>[1] ومن هنا تبدأ أحداث الرواية، بدخول ليلى ذلك القصر، تبدأ مغامرتها داخله ومع سكانه، حيث يمكن اعتبار أن القصر هو المكان الذي مكّن للأحداث أن تتطور.

إن ابتعاد ليلى عن والدها وسكنها عند خالها، كان يشعرها بالألم، فهي لم تكن تعلم بشأن عائلة والدتها وهذه المرة الأولى التي تلتقي بهم لأن والداها قد انفصلا وبقيت هي عند والدها، وأختها التوأم عند والدتها التي سكنت عند أخيها،إن وجود ليلى في القصر ولّد عندها أحاسيس بالخوف والوحدة والحزن، وبينما تولّدت هذه الأحاسيس عند ليلى حاولت الكاتبة التخفيف عنها بإدخال منال التي تكون زوجة ابن خالها، حيث شعرت معها بالراحة والانشراح وتشاركها أحاديثها وظهر هذا في المقطع التالي : <<تهللت

[1] الرواية، ص03

ليلى فرحا طالما كان الصوت أنثويا وهرعت لتفتح الباب وقد أدركت من الطارق مسبقا طلعتها امرأة تشبه تقترب من الثلاثين ترتدي ثوبا محتشما أنيقا وقد ألقت على رأسها غطاء من دون اهتمام يكشف عن مقدمه شعرها، استقبلتها بابتسامة واسعة واحتضنتها في حرارة وهي تقول:

أهلا بك.. كيف حالك؟ أنا منال... زوجة ياسين... وهذه رانيا... ابنتي>>[1]

>> شاركتها ليلى الضحك وقد أحسّت بالراحة إلى هاته المرأة التي تبدو عليها الطيبة والتلقائية ، وفوق كل هذا فهي أنثى مثلها وتفهمها أكثر من أي شخص آخر في هذا المكان!

استمرت الأحاديث بينهما ساعة من الزمن حول مواضيع شتى ، ورغم الفارق العمري فقد وجدتا الكثير من النقاط المشتركة بينهما، وأهمها شغفهما بالمطالعة وحب الطبيعة والمناطق المفتوحة...>>[2]

قد أظهرت الكاتبة في هذه المقاطع شعور ليلى بالراحة مع منال، وهذا ما سيعطي للأحداث انتقالا فوجود من يشعر ليلى بالراحة في القصر سيسمح للأحداث بالتطور.

[1] الرواية،ص35-36

[2] الرواية،ص30

ثم انتقلت الكاتبة من القصر إلى المنزل الريفي لتعطي الأحداث صبغة ملونة حيث أن ليلى عرفت بحقيقة وفاة أختها هناك في المنزل الريفي على لسان العجوز مريم <<ابتسمت مريم وهي تهز رأسها وتمسح العبرات من عينيها وقالت بصوت مخنوق:

. تذكرت أختك المسكينة... ونهايتها التعيسة...

قاطعتها منال في سرعة وحزم:

أرجوك يا خالتي... لا داعي لإثارة هذا الموضوع!

رددت ليلى بصرها بينهما في حيرة وقلق:

- نهايتها التعيسة؟ اخبراني كيف ماتت حنان؟

كان الصمت المطبق هو الجواب الوحيد على تساؤلها... لكنها ألحت بشدة: أرجوكما ... لا تخفيا عني شيئا...أريد أن أعرف!

حدجت منال الخالة مريم بنظرة تأنيب للورطة التي وضعتها فيها...في حين هزت الخالة مريم كتفيها في استهانة، ولسان حالها يقول: يجب أن تعلم، كان ذلك عاجلا أم آجلا... تنحنحت منال وهي تقول أخيرا:

عمي نبيل لم يكن يريدك أن تعلمي بما حصل، لأن الحادث كان مأساويا وأثر فينا جميعا لوقت طويل...حنان... اختارت أن تضع حدا لحياتها... حنان... انتحرت...>>[1]

إن حديث العجوز مريم عن وفاة حنان وقص منال للحكاية على ليلى جعلها تشعر بالحيرة والقلق عن السبب الذي جعل أختها حنان تنتحر، ثم انتقلت الأحداث لتروي منال على ليلى الأحداث التي تدور حول الغرفة الزرقاء والأقاويل المتداولة عليها وبأن أختها انتحرت هناك مما جعل ليلى تسخط على الغرفة وما يحيط بها من أثاث أزرق <<لم يكون اللون الأزرق مزعجا مثلما بدا لها اليوم! فقد أحبت رونق الغرفة في اليوم الأول لتواجدها في... هذا القصر... لكن أعصابها الآن لم تعد تحتمل المزيد من الأزرق

فتحت خزانة الملابس فطالعتها سترتها المفضلة ، ذات اللون الأزرق... ألقتها بعيدا في عصبية واختارت ثوبا ورديا أعاد الانشراح إلى نفسها... تعجبت من عصبيتها المفاجئة، ليس الخطأ في اللون الأزرق، فلطالما كان من ألوانها المفضلة ، لكن الغرفة الزرقاء وما يحيط بها من حكايات وأسرار ثير سخطها.>>[2] ،هذا الذي أدى بها إلى اتخاذ قرار تغيير لون الغرفة و حين تغييرها لورق الجدران في الغرفة الزرقاء تكتشف

[1] الرواية،ص57

[2] الرواية،ص73

مذكرة صغيرة تعود لأختها حنان وتفهم بأنها كتبت فيها عن زواجها بإبن خالها فراس ، فتقرر إعطائه المذكرة <<تلمست الجدار باهتمام يبدو أن شيئا ما وضع بين الجدار الخشبي لصوان وورق التغليف شيء صلب في حجم الكراس الصغير مزقت ما بقي من الورق بسرعة وفضول كبير يدفعها... أخرجت الجسم أخيرا و تأملته بين يديها في دهشة... كان بالفعل كراسا صغيرا، أو مفكرة شخصية، ذات لون أسود، نفضت عنها الغبار وجلست على الفراش، انتبهت إليها منال فاقتربت منها في فضول وجلست إلى جانبها متسائلة

ما هذا؟

لم تجب ليلى وفتحت الكراس على الصفحة الأولى وقرأت: كلمات كثيرة لم يستطع لساني أن ينطق بها... أخفيتها في صدري طويلا... ولم تجد لها مسكنا سوى صفحات كراسي... لكنني آمل يوما أن أجد الشجاعة لأواجه بها العالم... وأطلب الصفح على كل ما فعلت وما لم افعل... الإهداء (إلى زوجي العزيز فراس).>>[1] و حينها قررت إعطاء المذكرة لفراس، وبإعطائها له ومحاولته حرقه لها أصبحت ليلى تشك بأن فراس هو السبب وراء انتحار أختها، فصارت تكن له مشاعر، الكره، إن الكاتبة تركت أحداث الرواية تتطور من مكان إلى مكان فكلما ذهبت ليلى إلى مكان كانت تكتشف أمور أكثر وأكثر، مثلما كان ذهابها للمنزل الريفي السبب في معرفتها حقيقة وفاة حنان، كان

[1] الرواية،ص82

ذلك المكان هو السبب في تغيير تفكيرها اتجاه في فراس، ومعرفة الأسرار التي يخفيها عن حقيقة زواجه من حنان وبالضبط في المطبخ حيث أخبر فراس ليلى أنه تزوج حنان كي يحميها من طريق المنحرف الذي كانت تمشي فيه <<لم أكن أنوي أن أتحدث إلى أي مكان بما حصل، لكن أجدني في موقف حرج يجبرني على البوح بكل ما كتمته طوال السنوات الماضية... تعلقت عيناها بشفتيه وهو يتابع

. سأروي لك الحكاية كلها منذ البداية... وان بقيت لديك تساؤلات بعدها فلا تترددي...

هزت رأسها موافقة دون أن تتكلم، لا تكاد تصدق أنه هنا أمامها ومستعد ليشرح كل شيء بنفسه! إنه أقصى ما كانت تطمع فيه! تنهد فراس و هو يردف قائلا: الحكاية، لست أدري كيف بدأت بالضبط... حكاية ضياع حنان... وإنحراف عمتي نجاة... لكن حكايتي مع حنان بدأت في يوم ما، منذ ثلاث سنوات ونصف تقريبا... يوما تلقيت اتصال من مجهول، يعلمني بأن حنان موجودة في إحدى حانات الحي الشعبي، ويطلب مني أن أذهب لآخذها!.>>[1] وبهذا انتقلت الكاتبة بالأحداث حيث حاولت أن تعطيها لمسة انتقالية من حالة الكره التي كانت تشعر بها ليلى اتجاه فراس لتصبح حالة أخرى حيث أصبحت تشفق عليه و تشعر بطيبة قلبه، وتتواتر الأحداث في المستشفى هناك حيث كان والد ليلى يتلقى العلاج وهذا الذي ولد لدى ليلى ووالدها الخوف من المستقبل فقرر تزويجها من فراس مما جعل كل أحلام ليلى الجميلة

[1] الرواية،ص293

تتحطم، كما انه وفاة والدها كان له الأثر في حياتها فأصبحت تشعر بالوحدة والخوف نفسه الذي شعرت به من قبل و مرة أخرى تحاول الكاتبة التخفيف عنها بإرسال هالة التي تكون أخت مأمون الذي يعمل في شركة والدها >>عانقتها ليلى في عنفوان، ودفنت رأسها في صدرها... كان الله قد استجاب إلى أمنيتها و أرسل إليها الصدر الحنون الذي تحتاجه والقلب الصادق الذي يشاركها مشاعرها، تركتها هالة تبكي على صدرها ولبثت تمسح على رأسها في حنان.>>[1] إن ليلى كانت تحتاج إلى من يساندها و يقف إلى جانبها وقد وجدت هذا في هالة التي بادلتها مشاعر الصدق والمحبة وأشعرتها بالأمان الذي فقدته مع والدها بوفاته، ثم انتقلت الكاتبة بالأحداث إلى منزل هالة حيث فرت ليلى هاربة من القصر إليه هناك حيث كانت تتابع الأحداث التي تجري في القصر ومع سكانه من دخول خالها إلى السجن بسبب أعماله الغير قانونية ومعرفتها أنه السبب وراء موت أختها حنان وأماني وعرفت بضائقة المالية التي يعاني منها السكان القصر <قال مأمون وهو يعبث بسلسلة مفاتحه التي لا تزال بين أصابعه... كان توتره واضحا: ربما سقطت عنه تهمة القتل... فالأدلة غير كافية، ولا تعدو أن تكون مجرد شكوك... والمرجح أن الحوادث ستضل عملية انتحار في نظر المحكمة، ما لم تظهر أدلة جديدة... لكن ذلك يبدو مستبعدا نظراً للبعد الزمني... كما أن ياسين يخضع لعلاج نفسي الآن... ترسبات الحوادث التي عاشها أثرت في

[1] الرواية،ص380

توازنه... ومن المؤسف أنه لم يعالج... في وقت مبكر... لا أحد كان يعلم بأنه شهد حادثة انتحار والدته.

هزت ليلى رأسها في أسف فقد أثرت فيها كثيرا المصائب التي طالت عائلة خالها في الشهور الماضية حتى شغلتها عن التفكير في همومها الشخصية...>>[1]تتابعت الأحداث في الرواية من مكان إلى مكان رغم بقاء ليلى في مكان واحد إلا أن الأحداث كانت تتوالى في أماكن أخرى من دخول خال ليلى السجن إلى علاج ياسين في مركز العلاج النفسي ومعرفتها حقائق كثيرة عن خالها، وهكذا انتهت الأحداث بزواج ليلى من مأمون وشرائها كل ممتلكات خالها وقررت البقاء في الوطن من اجل الاستثمار بأموال أبيها هناك، وهذا ما عرفناه من خلال ذهاب ليلى إلى قبر والدها <<رنت بعينيها إلى القبر كأنها تحاول اختراق الحدود المادية لتصل إلي روح الراقد تحت الثرى، وخاطبته بقلبها... أبي، اعلم انك سعيد من اجلي الآن، واعلم أنك لو كنت على قيد الحياة لكنت باركت اختياري، وأقررتني عليه، مأمون شخص ممتاز يا أبي، ليس في العمل والإدارة فحسب، بل في كل صفاته وطباعه... أبي... إنا اخترت أن أظل في وطني و استثمر أموالك في مشاريع محلية، تعود بالفائدة على البلاد وأهلها>>[2] حدثتنا الكاتبة على لسان ليلى وهي تخاطب قبر والدها بانها تريد البقاء في أرض وطنها من أجل خدمتها

[1] الرواية،ص434

[2] الرواية،ص463

وكأنها بهذا تنهي أحداث الرواية هنا بإخبارنا عن الأحداث القادمة التي ستقوم بها وكانت هذه هي آخر المشاهد التي نراها في الرواية ليأتي بعدها المشهد الأخير الذي عرفنا فيه أحداث موت حنان وأماني الحقيقية وأن لخالها يد في ذلك على لسان العم صابر <<سقطت الجريدة من بين يدي العم صابر واخذه يحدق في الفراغ في ذهول... إنه يذكر الان جيدا، أن السيد نبيل كان قد طلب منه في مناسبتين يذكرهما جيدا أن يشتري له علبة حبوب مخدرة! كان يدعي أن أرقا كان يصيبه بين الفتره والاخرى... لكنه ولعجيب الصدف، فإن المناسبتين كانتا تسبقان انتحار كل من أماني وحنان بأيام قليلة!!>>[1] حاولت الكاتبة أن تبين حقيقة الأحداث التي جرت وتؤكد مصداقيتها ومثلما بدأت الأحداث في القصر كان انتهاءها في القصر كذلك كأنها جمعت الأحداث في دائرة مغلقة من الأماكن كانت حاوية للأحداث وصورة التي تحركها وتنتقل بها من حدث الى حدث كلما انتقلت هذه الدائرة من مكان إلى مكان.

لقد استخدمت الكاتبة طريقة التنويع في الأمكنه وكلما قامت بتغيير المكان كانت تقوم بإدخال أحداث جديدة لتزيد عند القارئ التشويق وقد طرحت في أحداثها بعض المواضيع المنتشرة بكثرة في أوساط المجتمعات المترفة مثل الإنحراف الأخلاقي وتبييض الأموال فقد حاولت بهذا أن تثير مشاعر القارئ وتستحوذ عليها بمساعدة التنوع المكاني الذي أعطى للأحداث ميزة في تواليها وفي نهايتها.

---

[1] الرواية،ص 367- 369

2. علاقة المكان بالشخصيات:

بما ان للمكان علاقة بالمكونات السردية للعمل الروائي فمن الضروري أن تكون له علاقة وطيده بالشخصيات الروائية، "فالمكان يبدو كما لو كان خزانا حقيقيا للافكار والمشاعر والحدوس حيث تنشئ بين الانسان والمكان علاقة متبادلة يتأثر كل طرف فيها على الآخر[1]" بمعنى أن المكان يؤثر في الشخصية وأحاسيسها كما أن الشخصيات تؤثر في المكان مما يدل على العلاقة المتبادلة بينهما وفي قول حسن بحراوي عن العلاقة بين الشخصية والمكان <<وذلك لأنه من اللآزم أن يكون هناك تأثير متبادل بين الشخصية والمكان الذي تعيش فيه أو البيئة التي تحيط بها بحيث يصبح بإمكان بنية الفضاء الروائي أن تكشف لنا عن الحالة الشعورية التي تعيشها الشخصية بل وقد تساهم في التحولات الداخلية التي تطرأ عليها>>[2] كما حاول حميد الحمداني أن يربط بين المكان والشخصية بقوله:<<فإسقاط الحالة الفكرية أو النفسية للأبطال على المحيط الذي يوجدون فيه يجعل للمكان دلالة تفوق دوره المألوف كديكور أو كوسط يؤطر الأحداث إنه يتحول في هذه الحالة إلى محاور حقيقي ويقتحم عالم السرد محررا نفسه هكذا من أغلال الوصف.>>[3] وهو بهذا يربط الحالة

---

[1] إكرام بوعمرة، عيسى بركاني،مروان دريجي، البنية المكانية في رواية أوجاع الخريف لمصطفى ولد يوسف،مذكرة،ص28

[2] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي،ص30

[3] حميد الحمداني،بنية النص السردي،ص71

الشعورية للشخصيات وكيف تؤثر على أهميه المكان في الرواية حيث تجعله يلعب دورا مهما فيها، وهنا يمكن القول:<<أن المكان يحقق بنية فوقية، ويغدو فيها فضاء، يسهم في بناء الرواية وعندما تخترقه الشخصيات والعناصر الاخرى بكل أبعادها فيتسع ليشمل العلاقات بين الأمكنة والشخصيات والحوادث... اذا عندما تتفاعل الشخصية مع المكان بكل أبعادها يدخل المكان عنصرا فاعلا في تطور الشخصية و بنائها وطبيعتها...>>[1]وهذا ما نجده في رواية أين المفر حيث ارتبطت أحاسيس وشعورية الشخصيات بالأماكن التي تواجدت فيها فاعطت للمكان جمالية و دورا في بناء الأحداث و من العلاقات البارزة بين المكان و الشخصية في الرواية نجد:

أ. علاقة ليلى بالقصر:

انا ليلى باعتبارها غريبة عن القصر وسكانه فهي تزورهم للمرة الأولى في حياتها وتبقى للعيش عندهم وجدت نفسها تشعر بالضيق والوحدة والقلق فهي وجدت نفسها بين من يسكنون القصر غريبة رغم انهم أهل خالها وهذا ما وصفته الكاتبة حين قالت: <<حينها تساءلت في حيرة... خالها؟ أي خال هذا؟ كانت قد نشأت وشبت في هذه الدنيا وهي لاتعرف من أقاربها غير والدها وجدتها التي فارقت الحياة منذ بضع سنوات... ومنذ ذاك الوقت وحياتها مرتبطة بوالدها إرتباطا وثيقا فهو كل عائلتها... و

[1]مهدي عبيدي،جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا،ص 190.189

مجرد التفكير في إمكانيه العيش بعيدا عنه كانت تشعرها بالألم والصداع!>>[1] كانت تشعر ليلى بالألم حين تفكر بأنها تعيش بعيدا عن والدها وقد أظهرت لنا كم تعتبر أهل خالها غرباء وبأنها لا تعتبرهم عائلتها فهي لم تعرف في حياتها غير والدها وجدتها وهذا هو سبب شعورها بالغربة والوحدة قربهم في القصر وهذا سبب العلاقة التنافرية بين ليلى والقصر فهي لم تكن تشعر فيه بالراحة التي يشعر بها كل إنسان وهو في بيت يحتويه ويحتضنه، وهذا الشعور قد ازداد بعد وفاة والدها حيث أنها وجدت نفسها وحيدة في القصر رغما كثرة المعزين لأنهم كانوا كلهم غرباء عنها <<سرحت للحظات... العزاء يكون بعد ظهر هذا اليوم. تعلم أن القصر سيعج بالناس... لكن من ذا الذي سيشاركها حزنا صادقا على فقدان المرحوم؟ ربما لا أحد!! إحساس بالإختناق لذلك الخاطر، والدها غريب في بلده، مضت سنوات طويلة على رحيله عنها ولم تعد له فيها عائلة تذكره أو تهتم لأمره، وهي، ربما لن يكون شأنها مختلفا جدا عنه... غريبة ابنة غريب...>>[2] رغم أن القصر كان كبيرا ورغم أن سكانه كانو من أهلها إلا أنها لم تشعر بالإنتماء قربهم فضلت تشعر بالوحدة والإغتراب في وسطهم فلم يجلب لها السعادة رغم كبر حجمه فقد كانت تشعر أن روحها تضيق فيها، إن الشعور ليلى هنا أظهر لنا أن القصر مكان سلبي بالنسبة لها.

---

[1] الرواية،ص20

[2] الرواية،ص376-377

ب . علاقة ليلى بالغرفة:

بعد عودت ليلى من فرنسا للأرض الوطن و سكنها عند خالها كانت تجد نفسها في معظم الأوقات تجلس في غرفتها تقضي وقتها هناك هاربة من شعور الوحدة الذي يعتريها في القصر حيث كانت في الغرفة تريح نفسها وتحادث نفسها وتستلقي على سريرها لترتاح << تأملت غرفتها الخاصة في إنبهار ثم ألقت بنفسها على السرير الوثير الناعم وتنفست الصعداء أغلقت عينيها وغرقت في لجة أفكارها... كم ستبقى هنا يا ترى أملها ان تنتهي رحلة والدها بأسرع ما يمكن وتعود لسكن معه في بيتهما الصغير في فرنسا...

لم تدرك كم مضى عليها من الوقت وهي مستلقية في تلك الوضعية المريحة ومستسلمة إلى أفكارها... لكنها انتبهت على صوت طرق خفيف على الباب...>>[1]

علاقة التي نشأت بين ليلى وغرفتها كانت علاقة حميمية فالبنسبة لها كانت الغرفة الم كان الوحيد الذي تستطيع فيه الخلو مع نفسها وأن تغوص في أفكارها
دون أن يزعجها أحد، ورغم الأقاويل التي سمعتها ليلى عن تلك الغرفة التي تسكنها إلا أنها لم تحاول الخروج منها وإنما ذهبت في تفكير لتغيير فيها حتى تلائمها، رغم شعو رها بالخوف لم ترد الخروج منهاتأملت ديكور الأزرق للغرفة ، فعادت إليها أحاديث الع جوز مريم عن سرها الدفين... هل شبح السيدة هاجر لايزال يحوم في الغرفة؟ أين أنت أيها الشبح... إن كنت هنا أخرج وواجهني، لست خائفة منك! قالت... ذلك في نفسها وابتسمت في استهزاء

[1] الرواية، ص12

فجأة سمعت طرطقة عنيفة لإرتطام جسم صلب ما بالأرض، هبت من مكانها فزعة وا نكمشت في ذعر وأخذت تتلفت حولها في تحفز... لكنها انتبهت إلا أن
حذائها الذيكان متعلقا بطرف قدمها قد سقط على الأرضية الخشبية المفروشة، حتى أن ها كانت تهز ساقها هزات متواترة، مأرجحة
الحذاء مرة إلى الأمام ومرة إلى الخلف فانفلت في
إحداها! ارتمت من جديد على السرير وهي ترسل زفيراً عميقا ثم مالبثت أن إنفجرت ضاحكة على نفسها... يالسخرية! هل خفت حقا ياليلى من شبح! ، ولو لوهلة قصيرة;

رغم شعور ليلى بالخوف إلا أنها لم ترد الخروج منها فهي المكان الوحيد الذي يمكنها ا لبقاء لوحدها فيه للخلو مع نفسها، لقد نشأت بين ليلى والغرفة علاقة وطيدة حيث أصب ح من غير الممكن لليلى الإستغناء عنها فذهبت لتغيير من ديكورها حتى تحافظ عليها وتذهب الأقاويل التي تقال عنه فتوجهت لخالها لتطلب منه الإذن في تغيير الون للغرف ة;... كنت أريد أن اطلب منك شيئا

هز رأسه كأنه يحثها على المتابعة، فأردفت:

. بما أن إقامتي قد تطول... وبما أن الغرفة الزرقاء التي أسكنها كانت خالية منذ بضع سنوات... فإنني فكرت... إن لم يكن في الأمر إزعاج لكم... وبعد موافقتكم طبعا... فكرت في تغيير ديكور الغرفة... حتى أحس أنها غرفتي... أقصد غرفتي المؤقتة طبعا ... فكرت في تغيير ورق الجدران والستائر

لقد ظهر كم أن ليلى قد تأثرت بالغرفة وكيف أن ليلى أثرت في الغرفة كذلك بمحاولة تغيير فيها فهي بهذا تحاول أن تبقى العلاقة المتينة بينهما وبين الغرفة فلم تكن تريد خسارة المكان الوحيد الذي تشعر فيه بالراحة وطمأنينة فبدت العلاقة بينهما إيجابية ومتناسقة.

لقد ظهر كم أن ليلى قد تأثرت بالغرفة وكيف أن ليلى أثرت في الغرفة كذلك بمحاولة

تغيير فيها فهي بهذا تحاول أن تبقى العلاقة المتينة بينهما وبين الغرفة فلم تكن تريد

خسارة المكان الوحيد الذي تشعر فيه بالراحة وطمأنينة فبدت العلاقة بينهما إيجابية ومتناسقة.

ج . علاقة ليلى بالحديقة:

لجانب الغرفة كانت ليلى تشعر بالإرتياح في الحديقة هناك حيث كانت تجلس لترتاح وتستنشق هواء الأشجار النقي فنشأت عند ليلى علاقة وطيدة بالحديقة فهي كانت تهرب اليها لبعض الأوقات متخذة مكانا فيها تجلس فيه دائما(كانت الجديقة مساحتها المفضلة في القصر بدون منازع، حديقة غنّاء مترامية الأطراف معتنى بها بشكل جيد، تمشت قليلا بين شجيرات الورد فقد شغلها التفكير في وضعها من جديد)[1]

(أغلقت الباب وراءها وهرولت في اتجاه الدرج، لا تريد أن يعترض أمين طريقها ... انها في حاجة الى جلسة هادئة في الحديقة... لتسترخي فتستعيد هدوء اعصابها.. ففي ركنها الخاص الذي تعودت الجلوس فيه منذ اقامتها..هنا، تجد الطمأنينة والسكينة)[2]

(اتخذت مجلسها على الأرجوحة الكبيرة في الفناء الأمامي، استرخت وأخذت تهزها في حركة بطيئة الى الامام والخلف، مثل مهد الطفولة...لشد ما تحتاج الآن الى من يهدهدها ويمسح على شعرها حتى يغلبها النعاس...لكن على الاقل يمكنها ان تستسلم

[1] الرواية، ص73

[2] الرواية، ص109

لدموعها حين تخلوا الى نفسها... حيث لا أحد يشهد على ألمها سوى النجوم... ونسيم الليل الذي يداعب وجهها >[1]>

من هنا تظهر لنا علاقة ليلى بالحديقة فهي المكان الذي كانت تسترخي فيه وتستجمع قواها هناك حيث يمكنها أن تكون هي نفسها ويمكنها أن تعبر عن كل مايجول داخلها دون أن تنتظر مواساة أحد وفي الحديقة استطاعت ليلى أن تظهر حقيقتها مع نفسها دون مبالغة أو مكابرة

د . علاقة ليلى بالمنزل الريفي:

يختلف وضع المنزل الريفي بالنسبة لليلى عن القصر رغم أنه مكان بسيط إلا أنها كانت تشعر بالألفة والمحبة فيه إلى جانب العجوز مريم التي كانت تشعرها بالدفئ في أحاديثها ومواساتها لها فكانت ليلى تذهب إلى هناك عند شعورها بالقلق
والحزن<<نزلت إلى المطبخ في هدوء وانضمت إلى المربية التي كانت تعد طعام العشاء...جلست إلى المائدة في إطراق وقد سرحت أفكارها بعيداً ... لبثت صامتة لبضع دقائق، ترتب أفكارها وتستعد للمواجهة القريبة... أنهت مريم عملها واقتربت منها وجلست قبالتها وقالت مبتسمة:

ـ مالذي يشغل صغيرتي؟>[2]>

>> لم تعد تحتمل المزيد من الإرهاق العصبي، صحتها نفسية والجسدية في تدهور يوما بعد يوم... تحتاج إلى قسط من راحة، بعيدا عن هنا... حتى تواجه الموقف...أو ربما ذهاب إلى المزرعة... يجب أن تقرر بالسرعة...>>[3]

---

[1] الرواية، ص244

[2] الرواية، ص286

[3] الرواية، ص275

إن العلاقة بين ليلى والمنزل الريفي كانت علاقة أليفة رغم قصرها إلا أنها كانت تشعر بالراحة وهي هناك عكس ما تشعر به وهي في القصر من غربة ووحدة.

هـ . علاقة فراس بالبحر:

إن العلاقة بين فراس والبحر هي علاقة تأثيرية فالبحر كان يؤثر في فراس ويشعره بالطمأنينة وكان فراس يؤثر في البحر بإلقاء كل همومه ومتاعبه إلى أعماقه فنشأت بينهما علاقة العطاء والأخذ ففراس لم يكن يملك مكاناً آخر سوى البحر ليلقي إليه بمتاعبه ومشاغله ولم يكن يجد شخصاً آخر يسمع إليه غيره<<جلس على حافة البحر، الصديق الوفي الذي تعود إلى الشكوى إليه دون غيره ...>>[1]

وهنا تظهر علاقة المودة القائمة بينهما حيث استاطاع فراس أن يشكي بهمومه إلى البحر دون سوا فنشأت لديه علاقة ثقة بالبحر بإحتسابه مكاناً يرتاح فيه ويطمأن بعيداً عن الجموع.

و. علاقة نجيب بالمستشفى:

نجيب يعتبر والد ليلى وعلاقته بالمستشفى تظهر لنا حجم المعاناة فالمستشفى ككل يعبر عن الألم والمرض والمعاناة وهذا ماظهر على شخصية نجيب حيث أنه ذهب إلى المستشفى من أجل العلاج م مرض السرطان<< نضرت ليلى إلى والدها وقالت:في تردد، كأنها تتوقع الجواب وتخشاه

ـ أبي مما تشكو؟

ابتسم في ضعف وهو يسرح بنظراته بعيدا

... سرطان الرئة>>[2]

---

[1] الرواية،ص459

[2] الرواية،ص225

>> لم يبق في العمر الكثير يانجيب... هكذا كان يحدث نفسه حين دخلت عليه ليلى... سالت على خده دمعة يتيمة لم يستطع كبح جماحها في اللحظة المناسبة.>>[1]

إن هذا الوصف أظهر لنا ضعف نجيب وقلة حيلته فيظهر للمتلقي حجم المعاناة والألم الذي يشعر به المريض ومن هنا ظهرت لنا العلاقة بين المكان والشخصية وكيف أن المكان قد يساعد في فهم الحالة الشعورية لشخصية.

ز. علاقة حنان بالحانة:

إن الكلام عن الحانة يوحي بأنه مكان للإنحراف الأخلاقي وقد ظهر هذا في الشخصية حنان التي كانت ترتاد الحانة والتي تغيرت أفكارها بوجودها فيها وإنحرفت أخلاقياً فالحانة هي مكان للرذيلة ويذهب إليه الناس لينسو همومهم ولكنهم يتوهمون ذلك ومنه تظهر كيف أن المكان يؤثر في حالة الشخصية ويغير من شعورها وطباعها << لم أصدق أن حنان قد ترتاد مكانا كهذا، وظننت أن صاحب الإتصال قد أخطأ ولكن بعد أن تعودت عيناي على ظلام أجلت بصري في الداخل، فلمحتها... في مشهد مخز... حنان شبه ثملة، تترنح بين ذراعي شاب ثمل هو الآخر، وضحكاتها تملأ المكان! >>[2]

إن هذا الوصف قد أظهر الحالة التي وصلت إليها حنان بذهابها إلى الحانة وكيف تغيرت تصرفاتها، لدرجة عدم التصديق، فظهر كيف تتأثر الشخصية بالمكان، وتكتسب شعوراً منه وكيف ساعد المكان في إظهار تصرفات الشخصية، فكانت العلاقة بينهما سلبية.

في هذه العلاقات التي ذكرتها ظهر لنا كيف أن الكاتبة قد غستاطعت أن تربط الشخصيات وتغيراتها بالمكان الذي تتواجد فيه فظهرت العلاقة بينهما بشكل بارز.

---

[1] الرواية،ص228

[2] الرواية،ص294

3- علاقة المكان بالزمان:

(يتضمن المكان الزمن بشكل أو بآخر فالمكان تجربة حياتية يحدد وجودها واستمرارها الإنسان في تشكيل المكان وابداعه وعندما نتحدث عن المكان فاننا نتحدث عن زمانه، ولذلك يعد الزمان احد أبعاد المكان)[1] (هذا يعني أن المكان يحتاج بالضرورة إلى زمان يحدده فلن نستطيع التحدث عن المكان بعيدا عن زمن يصاحبه لهذا ظهر لنا مصطلح الزمكانية لذا يمكن القول أن الزمن والمكان في العمل الروائي لا ينفصلان، ومكونات الفعل الادبي لا تقدم في النص الا عن طريق تواجدها في الزمان والمكان في ان واحد)[2]،(و إذا كان الزمن يمثل الخط الذي تسير عليه الاحداث فإن المكان يظهر على هذه الخط ويصاحبه ويحتويه فالمكان هو الاطار الذي تقع فيه الاحداث)[3] (ويسيل الزمن بحركته اللامرائية بين ثلاثة ابعاد الماضي والحاضر والمستقبل ويعد والحاضر أضيق الامتدادات فيه، وبالتالي فالحاضر يربط بين مرحلتين اثنتين هما الماضي والمستقبل)[4] (والزمن في العمل الروائي هي ازمنة متخيلة تتعلق بزمن الشخصيات في الرواية حيث يمكن تقسيمها الى ثلاثة ازمنة الماضي والحاضر والمستقبل، فالماضيالروائي هو حاضر الكاتب والحاضر هو أكثر الأزمنة وجودا في العمل الروائي، وهو ينوس بين الماضي والمستقبل في وحدات زمنية متتابعة)[5] لكن لا يعني ان ارتباط الزمان والمكان يحيد عن ارتباطهما بباقي العناصر الروائية الأخرى بل باتحادهما مع باقي العناصر الأخرى، ولقد حاولت الكاتبة خولة حمدي في روايتها المزج بين الازمنة حيث مثلت الحاضر وهو الواقع الذي تعيشه الشخصيات، والماضي الذي ينشأ من تذكر الشخصيات للأحداث الفائتة عندما تنتقل ذاكرتها عبر الأماكن أي

---

[1] مهدي عبيدي،جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا،ص225

[2] محبوبة ابادي،جماليات المكان في قصص سعيد حوانية ،ص124

[3] سيزا قاسم، بناء الرواية،ص106

[4] مهدي عبيدي،جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا،ص226

[5] محمد عزام،فضاء النص الروائي،ص125

أن العلاقة بين الزمان والمكان نشأت من خلال تذكر الشخصيات للاحداث متحفزة بالامكنة، وفي الرواية توجد بعض الأحداث التي لا يمكن فهمها إلا إذا عادت الشخصيات إلى الماضي و تذكرتها. لقد بدأت الرواية بالزمن الحاضر وهو كما أشرنا سالفا زمن الشخصيات في الواقع بقولها:

(رفع نبيل القاسمي سماعة الهاتف، وبدا على وجه الارتياح وهو يستمع إلى صوت مخاطبه:

- اهلا نجيب ...نعم ... نعم... لقد دخلت كل شيء لاستقبال ليلى... اطمئن... فراس؟ أعلم أنه شديد الحساسية... ربما لم يتقبل الأمر بسهولة في البداية، لكني سأكون إلى جانبها... لا داعي للقلق... دعني أتصرف..

في تلك اللحظة ترامى إلى مسامعه صوت منبه السيارة في الحديقة الخارجية للقصر ... فتطلع من النافذة قبل أن يستطرد:" لقد وصلت السيارة، سأحدثك لاحقا...

وضع السماعة وعدل سترته ثم خطا بثقة نحو البهو...)[1]

وقد استعمل في العديد من المواضع المغايرة، حتى يتبين للقارئ أن الرواية تجري في الوقت الحاضر عند الشخصيات (إنها ليلتها الأولى في القصر الكبير... مقر إقامة آل القاسمي...) [2]ربطت هنا الكاتبة زمن وجود البطلة بمكان تواجدها في تلك اللحظة الزمنية . ومن المقاطع التي احسنت الكاتبة فيها استحضار الماضي عند الشخصيات بمساعدة الأمكنة هو المنزل الريفي حيث كانت العجوز مريم تتذكر ما مر عليها في القصر (تنهدت وهي تسترجع ذكريات قديمة مرت عليها 24 سنة، استطردت وهي تتأمل وجه ليلى كأنها تقرأ في ثناياه تفاصيل تاريخها)[3] كما ظهر هذا الاستحضار

[1] الرواية،ص03

[2] الرواية،ص19

[3] الرواية،ص155

للماضي نفسه عند فراس وهو يروي ليلى حكايته (لكن حكايتي مع حنان بدأت في يوم ما. منذ ثلاث سنوات ونصف تقريبا... يوما تلقيت اتصال من مجهول.)[1]

ولا ننسى ذكر حكاية ياسين الذي كان قد كره الأمكنة التي تذكره بالاحداث السيئة التي مر عليها كالغرفة الزرقاء التي كان قد فقد فيها في المرة الأولى أمه هاجر وفي المرة الثانية زوجته أماني) عادت به الذاكرة إلى الماضي ...ثلاثين عاما إلى الوراء... كانت السيدة هاجر تعتكف في الغرفة الزرقاء منذ أيام ... في تلك الليلة سمع ياسين أنينا مكتوما قادما من الغرفة الزرقاء... فتح الباب في هدوء وفضول شديد يدفعه... كان الجرح العميق واضحا في معصمها المقطوع)[2] (كان قد مر على وفاة أماني بضع سنوات وبدأ يعود نفسه على الأمر)[3] فتذكر ياسين هذه الاحداث الماضية فاندمج الزمان والمكان عنده، إن الماضي الذي يتذكره ياسين كان منعرجا حاسما في حياته لما فيه من ذكريات سيئة تثير حزنه وتفكيره، كما ارتبطت بعض الامكنة في الرواية بأحداث معينة، كانت تثير الحزن والألم وقد ظهرت مع تحرك الشخصيات الى الأمكنة في زمن، كما لمسناه عند ليلى،(وصلت ليلى إلى المستشفى بسيارتها... نزلت منها وهي تتأفف).[4]

نلاحظ في الأخير أن المكان والزمان في الرواية متناسبين والقضايا التي تطرقت إليها الكاتبة حيث شكلا معا وجهي العملة الواحدة، لا يمكن لأحدهما الاستغناء على الآخر في رسم لوحة الحياة والتعبير عنها[5]

---

[1] الرواية،ص293

[2] الرواية،ص423-424

[3] الرواية،ص426

[4] الرواية،259

[5] الهام سرير،البنية المكانية في رواية ريح الجنوب،مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر،جامعة محمد بوضياف،المسيلة2014-2015،ص79

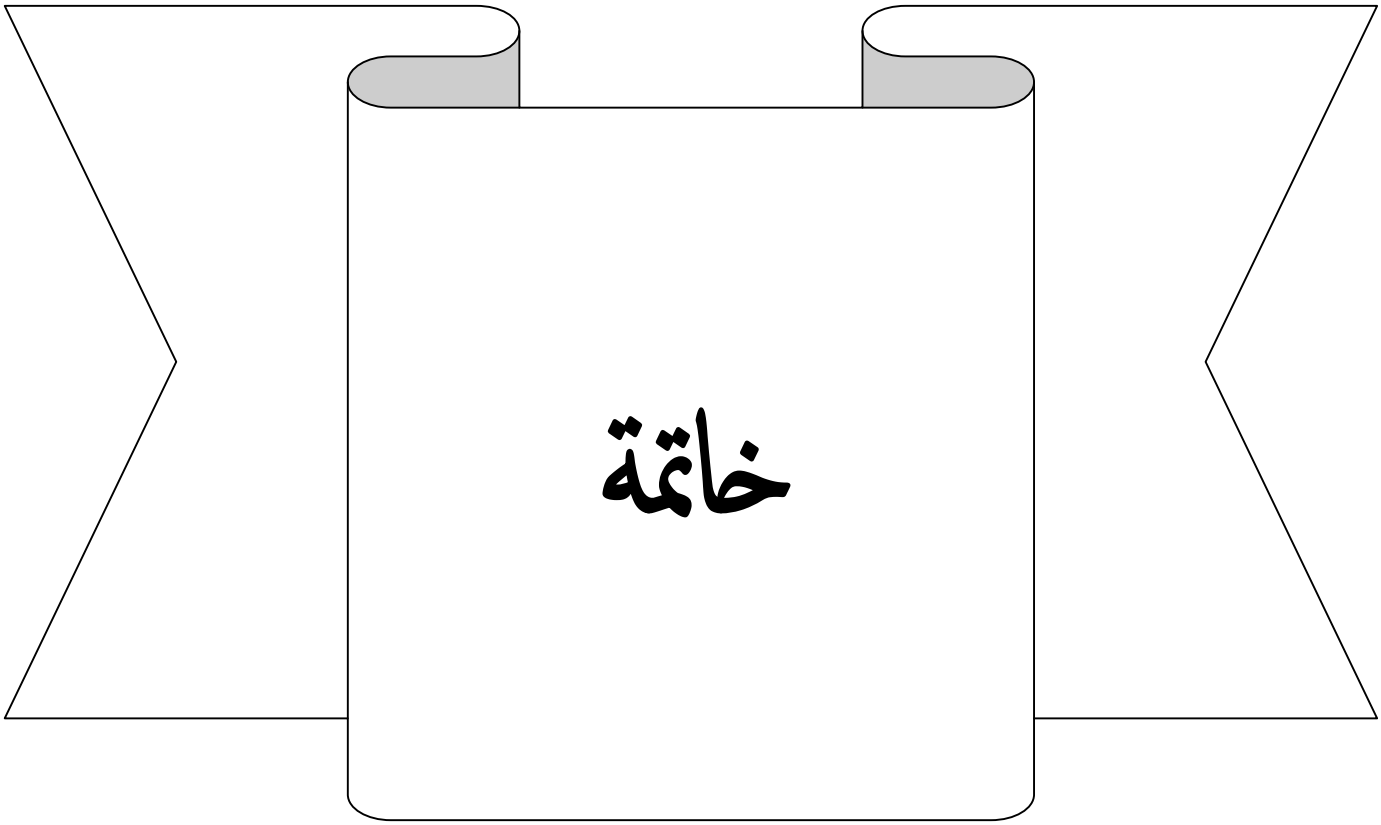
خاتمة

أختم بحمد الله جل وتعالى موضوع بحثي هذا، بعد رحلت طويلة تطرقت فيها إلى كل ما يتعلق بالبنية المكانية في رواية أين المفر حيث أنها كانت تتضمن ظهورا قويا بينا لعنصر المكان، والذي كان له دور فعال في باقي العناصر السردية، ولعل أهم نتائج المتوصل إليها من خلال بحثي هذا والتي قمت بحصرها في مجموعة من نقاط الأساسية:

ـ يعد المكان عنصرا من العناصر الفنية الهامة المكونة للنص السردي

ـ لايعتبر المكان مجرد إطار تجري فيه الأحداث وإنما هو أحد العناصر الفاعل والمحركة لتلك الأحداث نفسها.

ـ نلاحظ تعدد الأمكنة وذلك ليس لمجرد الإنتقال من مكان إلى آخر وإنما من أجل خدمة النص.

ـ عمدت الروائية إلى تنويع الأمكنة ووضفت الأماكن المفتوحة التي تمثلت في الحديقة، المزرعة، الشوارع، والأماكن المغلقة كالبيت والغرفة، والمطبخ...إلخ، لتترك لشخصيات الحرية في إظهار المشاعر اتجاه الأمكنة.

ـ لايمكن دراسة المكان في معزل عن باقي المكونات السردية الأخرى، من أحداث وشخصيات وأزمنة.

ـ وجود علاقة متينة بين المكان والأحداث، فالمكان هو الذي يحرك الأحداث ويقوم بتقريب الصورة للقارئ مما يعطي جمالية ومصداقية للأحداث.

ـ ساهم المكان في إظهار ورسم أبعاد الشخصيات وتبيين حقيقة أفعالها وتفسير سلوكاتها وترك أثر ظاهر في نفسية الشخصيات بين الراحة والإكتئاب.

ـ هناك تفاعل بين الزمن والمكان، فالإنتقال من مكان إلى آخر كانت تصحبه جملة من تغيرات الزمنية

ـ أحسنت الكاتبة في توضيف المكان في الرواية فحاولت ترسيخ قيمه وتحديد مواقفه مما أكسب المكان أبعد دلالية وجمالية ورمزية ساعدت في إقناع المتلقي.

وفي الختام أتمنى أن يكون هذا البحث قد أحاط بالموضوع وأبرز عنصر المكان ودوره في رواية أين المفر، ولا أدعي أنني ألممت بكل جوانب البحث ولا أزعم أني جئت بجديد لم يسبق له، ولكن أرجو أن أكون قد وفقت ولو بشيء بسيط في معالجة هذا الموضوع.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

المصادر:

1) خولة حمدي،أين المفر،كيان لنشر والتوزيع،الهرم،2017

المراجع:

1) أوريدة عبود،المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية(دراسة بنيوية لنفوس ثائرة لعبدالله الركيبي)،دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع،2009
2) إبراهيم الجنداري،الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا،ط1،دار تموز ،دمشق،2013
3) حسن البحراوي،بنية الشكل الروائي(الفضاء/الزمن /الشخصية)،ط1،المركز الثقافي العربي،بيروت،1990
4) حميدا لحمداني،بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي،ط1،المركز الثقافي العربي،بيروت،1991
5) خالدة سعيد،حركية الإبداع،دراسات في الأدب العربي الحديث،ط3،دار الفكر ،بيروت لبنان،1986
6) سيزا قاسم،بناء الرواية(دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)،مهرجان القراءة للجميع،2004
7) عبد الرحيم الكردي،البنية السردية للقصة القصيرة،ط3،مكتبة الآداب،القاهرة،2005
8) عبد الملك مرتاض،في نظرية الرواية(بحث في تقنيات السرد)،عالم المعرفة،الكويت،1998
9) فاروق أحمد سليم،الإنتماء في الشعر الجاهلي،إتحاد الكتاب العرب، 1998

10)محبوبة محمدي محمد آبادي،جماليات المكان في قصص سعيد حورانية ،منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب،دمشق،2011

11)محمد أيوب،دراسات في الأدب والنقد،دار الصداقة لنشر الإلكتروني.

12)محمد عزام،فضاء النص الروائي(مقاربة بنيوية تكوينية في أدب سليمان عيسى،ط1،دار الحوار ،اللاذقية سوريا،1996

13)مهدي عبيدي،جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا(حكاية بحار /الدقل/المرفأ البعيد)،الهيئة العامة السورية للكتاب،دمشق،2011

14)نعمان بوقرة،المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب،جدار للكتاب العالمي،عمان الأردن،2009

15)ياسين النصير،الرواية والمكان،ج2،ط2،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،1986

الفهارس والمعاجم:

1) إبراهيم أنيس وآخرون،المعجم الوسيط،ط4،مجمع اللغة العربية،مكتبة الشروق الدولية،2004

2) أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد،دار صادر ،بيروت

3) إبن منظور ،لسان العرب،ج1،دار الصادر ،بيروت

4) الخليل بن أحمد الفراهيدي،العين(مرتبا على حروف المعجم)،تح:مهدي المخزومي وإبراهيم السمرائي،ج8،ط4،دار ومكتبة الهلال.

5) الزمخشري،أساس البلاغة،تح:محمد باسل عيون السود،ج2،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،1998

6) جميل صليبيا،المعجم الفلسفي،ج2،دار الكتاب اللبناني،بيروت لبنان،1982

7) لويس معلوف،المنجد في اللغة،المطبعة الكاثوليكية،بيروت.
8) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي،مختار الصحاح،مكتبة لبنان،لبنان،1986
9) محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مجد الدين،القاموس المحيط،تح:أنس محمد الشامي وزكرياء جابر محمد،دار الحديث،القاهرة،2007
10)مراد وهبة،المعجم الفلسفي،دار قباء الحديثة،القاهرة،2007

الكتب المترجمة:

1) جيرالد برنس،قاموس السرديات،تر:السيد إمام،ط1،ميريت لنشر والمعلومات،القاهرة،2003
2) غاستون باشلار،جماليات المكان،تر:غالب هلسا،ط2،المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت لبنان،1984

المجلات:

1) عبدالله الحسيني،البنيوية التكوينية الغولدمانية(المنهج والإشكالية)،مجلة أهل البيت عليهم السلام،العدد21
2) غيداء أحمد سعدون شلاش،المكان والمصطلحات المقاربة له(دراسة مفهوماتية)،مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية،مج11،العدد2،كلية التربية للبنات،2011

الرسائل الجامعية:

1) إكرام بوعمرة وآخرون،البنية المكانية في رواية أوجاع الخريف،مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس،جامعة آكلي محند أولحاج، البويرة 2018/2019

2) إلهام سرير،البنية المكانية في رواية ريح الجنوب،مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر،جامعة محمد بوضياف،المسيلة،2015/2014

فـــهـرس
الـــمـوضـوعـات

فهرس الموضوعات

شكر وعرفان 2

الإهداء 3

مقدمة.....4-8

مدخل إلى المفاهيم.....10-29

مفهوم البنية.....11-14

لغة.....11-12

إصطلاحا.....13-14

مفهوم المكان.....14-20

لغة.....14-16

إصطلاحا.....16-18

فلسفيا.....18-20

المكان عن النقاد(العرب/ الغرب).....20-25

المكان عند النقاد العرب.....20-23

المكان عند النقاد الغرب.....23-25

أهمية المكان.....25-29

الفصل الأول: التشكيلات المكانية.....30-56

التشكيلات المكانية.....31

المكان المفتوح.....31-42

المكان المغلق.....42-56

الفصل الثاني: علاقة المكان بالمكونات السردية.....57-80

علاقة المكان بالأحداث.....58-68

علاقة المكان بالشخصيات.....68-77

علاقة المكان بالزمن.....77-80

خاتمة:.....81-83

قائمة المصادر والمراجع.....84-87

فهرس الموضوعات.....88-89